الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف . المسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: ط1: 1435086043

رقم التسجيل: ط2: 1435086321

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان:

جدل الشرق والغرب في رواية موسم الهجرة إلى الشمال.

لـ" الطيّب صالح

إعداد الطالبتين:

- بن حوحو فاطنة إكرام
- بشيري فيروز

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
إبراهيم صالحي	أستاذ محاضر ب	جامعة المسيلة	رئيسا
هني لخضر	أستاذ محاضر. ب	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
مختار لبزة	أستاذ محاضر. ب	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1439 -1440 هـ / 2018-2019

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أول الشكر لله الواحد القهار صاحب الفضل والإكرام أكرمنا بنعمة الإسلام ويسر لنا سبيل العلم، فله الشكر حتى يرضى وله الشكر بعد الرضى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا.

نتقدم بالشكر للأستاذ الفاضل : الدكتور: **لخضر هني** على المساعدة والنصح والإرشاد والتوجيه في إنجاز هذا العمل

كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إتمام هذا العمل.

بشيري فيروز بن حوحو فاطنة إكرام

الإهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

شيء جميل أن يسعى الإنسان إلى النجاح فيحصل عليه ولكن الأجمل أن يتذكر من كان وراء هذا النجاح...

أهدي تخرجي إلى روح وقلب طالما تمنيت أن أكحل عيني برؤيته في يوم تخرجي جدي الغالي

الذي كان الراعي الأول لخطواتي خلال مسيرتي الدراسية

إلى جدتي الغالية أطال الله في عمرها و التي كان دعائها سر نجاحي

إلى والدي:

إلى الذين لو وفيت عمري لأرضيهما لما وفيت حقهما: أبي وأمي أطال الله عمرهما..

إلى إخوتي:

إلى شموع حياتي إخوتي، حسام، عدنان، وسيم، رتاج

إلى خالي:

الذي كان دائما ورائي وسندي في الحياة

الى توأم روحي : اية – ايناس وسندس

الى أخي المدلل: محمد الامين

الى براعم عائلتي : منال – مريم –مفاز واسلام

بن حوحو فاطنة إكرام

مقدمة

مقدمة:

الصراع هو تلك السمة البارزة التي تميز العلاقات بين الشعوب والأمم في الكثير من الأحيان، وذلك لاختلاف إيمانهم واعتقاداتهم، وكان لهذا الاختلاف دور مهم في بلورة هذا الصراع، الذي كان ولازال قائما بين الأمم عبر التاريخ.

إنّ المتتبع لتاريخ الإنسانية يدرك أن معظم العلاقات التي قامت بين الأمم والحضارات، قامت على التوتر والصراع، وبخاصة فيما يخص العلاقة التي تجمع بين الشرق والغرب، والتي تميزت في مجملها بالحقد والكراهية حيث بلغ الصراع أشده، وذلك لعدة أسباب تاريخية ساهمت في تأزم العلاقات، ومن أبرزها السياسة الاستعمارية التي مارسها الغرب على الشرق عامة والمسلمين خاصة، من قتل وتشريد وترهيب وتجويع، كل هذا ساهم في توتر العلاقات وظهور القطيعة بينهما.

ومن الناحية الأدبية فكانت ثنائية الشرق والغرب من القضايا الكبرى التي تناولها الأدباء والشعراء، وأخذت حصة الأسد من أعمالهم وإبداعاتهم، وشغلت هذه القضية مساحة واسعة من كتب الأدب بمختلف أجناسه وأشكاله خاصة فيما يتعلق بالجانب الروائي، الذي اهتم هو الأخر بهذه القضية اهتماما كبيرا، وعبر عنها الروائيون كل بطريقته وأسلوبه الخاص، حيث تناولوا الشرق والغرب ليس لمجرد مكانين جغرافيين، بل بوصفهما قطبين حضاريين مختلفين، الشرقُ بروحانياته وأصالته، والغرب بتقديسه للمادة والمعاصرة، فكانت الرواية من أهم الأشكال الأدبية التي تطرقت لهذا الموضوع باعتبارها تتيح للأديب مجالا واسعا للتعبير، ولعل من أهم وأبرز الروايات التي تطرقت الى مسألة الصراع الحضاري بين الشرق والغرب رواية "**عصفور من الشرق**" لتوفيق حكيم سنه 1938م "**قنديل أم هاشم**" ليحي حقي سنة 1944م، "**الحي اللاتيني**" لسهيل إدريس سنة 1953م "**موسم الهجرة الى الشمال**" للطيب صالح سنة 1966م وهي موضوع دراستنا الموسومة بـ: **جدل الشرق والغرب في رواية** "موسم الهجرة الى الشمال".

وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع نظرا للأهمية البالغة التي يكتسيها، ولتميز الطيب صالح في طرحه لثنائية الشرق والغرب بطريقة وأسلوب يختلف كل الاختلاف عن الروايات الأخرى، التي تناولت بدورها نفس الموضوع، حيث أبدع في كشف خبايا العلاقة التي تجمع بين الشرق والغرب وخوضه في أغوارها، فالطيب صالح عبر عن طريق شخصية بطله "مصطفى سعيد" عن الحقد والكره الذي يكنه الشرقي للغرب ورغبته الجامحة في الانتقام منه بشتى الطرق والوسائل التي يتقنها.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المراجع، التي عالجت الموضوع من بينها: "بين الحضارتين الإسلامية والغربية" لمحمد حسنين هيكل، "نحن والأخر" لمحمد راتب الحلاق، "شرق وغرب رجولة وأنوثة" لجورج طرابيشي ...الخ.

ومن **أسباب اختيارنا** لهذا الموضوع هو معرفة تجليات الجدل القائم بين الشرق والغرب والكشف عن أسرار العلاقة التي تجمع هذين القطبين، كذلك الإعجاب بالطريقة التي طرح بها الطيب صالح لقضية الصراع الحضاري القائم بين الشرق والغرب، والإنبهار بعبقريته في تصوير هذه العلاقة، **والإشكالية** التي تطرح هنا: **كيف طرح الطيب صالح العلاقة الجدلية بين الشرق والغرب في روايته؟ وما الهدف الذي ارتآه من خلال طرحه لهذا الموضوع؟**

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على **المنهج الوصفي التحليلي** وواجهتنا خلال عملنا هذا جملة من المصاعب والمعيقات أهمها: ضيق الوقت، نقص الخبرة اللازمة، وبعض العراقيل الأخرى أبرزها الظروف السياسية التي تمر بها البلاد التي كان لها تأثير علينا من خلال الحراك الذي عرقل سير المنظومة الجامعية.

واستندنا في تقسيم بحثنا هذا على **خطة** مكونة من فصلين، يسبقهما مقدمة، بالإضافة إلى خاتمة، ثم قائمة المصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات التي تناولناها، وملحق يشمل ملخص الرواية، ونبذة عن حياة الروائي، ثم ملخص للبحث وترجمته باللغة الفرنسية.

ففي التمهيد تطرقنا الى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب التي قامت في مجملها على الصدام والصراع الذي يشتد تارة، ويرتخي تارة أخرى، ويأتي بعده مباشرة:

الفصل الأول الذي عنوناه بالشرق والغرب وتاريخ العلاقة بينهما حيث تناولنا فيه مفهوم الشرق والغرب، وطبيعة العلاقة بينهما، كذلك تناولنا مظاهر المثاقفة مفهومها وأهميتها.

أما **الفصل الثاني** فخصصناه للجانب التطبيقي، وفيه درسنا رواية موسوم الهجرة الى الشمال حيث تطرقنا فيه الى ذكورة الشرق وأنوثة الغرب، مصطفى سعيد بين الشرق والغرب، ثم الخاتمة التي لخصت مجموعة النتائج المتحصل عليها .

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذنا الفاضل "هني لخضر" الذي لم يبخل علينا في تقديم النصائح والتوجيهات، فكان لنا نعم المرشد والموجه في إنجاز هذا العمل .

الفصل الاول

الشرق والغرب وتاريخ العلاقة بينهما

تمهيد

1- مفهوم الشرق والغرب

2- طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب

3-المثاقفة بين الشرق والغرب

4- تجليات المنجز الروائي بين الشرق والغرب في العصر الحديث والمعاصر

تمهيد:

قامت العلاقة بين الشرق والغرب منذ فجر التاريخ على التوتر والصراع الذي يشتد تارة ويرتخي تارة أخرى، حيث امتد زمنا طويلا ولازال متواصلا لحد الآن بين شرق، كان متحكما في زمام الأمور في البداية، ثم بعد ضعفه وانكساره، استغل الغرب هذه الفرصة وسعى جاهدا أن يخلف المكانة، التي كان يحتلها الشرق بشتى الطرق والوسائل الشرعية وغير الشرعية، التي قادته الى تزعم العالم، وفرض هيمنته وإيديولوجيته على الشرق عامة والعرب والمسلمين بخاصة.

ويبدو أن تاريخ الصراع بين الشرق والغرب، ظهر جليا في فترة الحروب التي دارت بين الفرس واليونان في القرن الخامس قبل الميلاد، وذلك نظرا للتوسعات التي عرفتها الإمبراطورية الفارسية في بلاد الشام ومصر والأناضول. فكل هذه التوسعات أصبحت تهدد الإمبراطورية الإغريقية والعالم الغربي القديم بأكمله.

وقد استمرت هذه الحروب والصراعات بين هذين القطبين الحضاريين عقودا طويلة من الزمن، ففي العصور الوسطى ظهر تحول كبير وهائل في بلاد الشرق، وذلك بظهور الإسلام، وانتشاره السريع في مختلف أصقاع العالم، حينها احتلت الحضارة الإسلامية مكانة هامة وجد مرموقة، فانتشرت أنوارها بفعل الفتوحات الإسلامية التي وصلت الى غاية بلاد الأندلس في قارة أوروبا، وإفريقيا وغيرها من المناطق الأخرى التي كانت تحت إمرة الغرب، فاستشعر الغرب بالخطورة التي تداهمهم حيث باتت تقرع أبوابهم، لكن هذا لم يدم طويلا حتى استعاد الغرب هيبته، وذلك بفعل الحروب الصاخبة التي دارت بين المسلمين والإمبراطورية الرومانية، وكذلك الحروب الصليبية وسقوط الدولة العثمانية على يد الأوروبيين، وكذلك سقوط الأندلس، كلها عوامل أدت الى ضعف الشرق وانهياره تدريجيا خاصة بعد السياسة الاستعمارية التي فرضتها الدول الغربية على بلدان الشرق عامة والدول العربية والإسلامية خاصة، وهذا ما زاد حدة التوتر واحتدام الصراع عن طريق استعمار وحشي متجرد من المشاعر الإنسانية، وذلك رغم إدعائهم الحرية والمساواة وحقوق الإنسان فهم سعوا الى

اغتصاب البلدان بخيراتها وإذلال شعوبها، وخير مثال على ذلك ما فعله الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وممارساته الشنيعة ضد شعب أعزل وغيرها من الشعوب التي ضاقت مرارة الاستعمار، كل هذا ساهم في تأزم العلاقة بين الشرق والغرب، حيث اتسمت في مجملها بالحقد والكراهية والعدوان، الذي مازال متواصلا الى يومنا هذا خاصة بعد ظهور ديناصور آخر أكثر همجية وتوحشا الى العالم ما يسمى بأمريكا، التي تحاول هي الأخرى زعزعة استقرار الشرق، وسيطرتها على خيراته وممتلكاته، وذلك بإثارة الفتن الداخلية والحروب الأهلية والتدخلات العسكرية في بلدان الشرق بطريقة وأسلوب غير مباشر كما هو الحال بالنسبة لسوريا والعراق وليبيا وغيرها من الدول الأخرى.

ومن هنا نقول إنّ الصراع والصدام بين الشرق والغرب هو في تواصل حيث يزداد حدة وتوترا يوما بعد يوم نظرا لاستمرار الغرب في انتهاجه لسياسة وأسلوب الغدر في تعامله مع الشرق.

1- مفهوم الشرق والغرب:

الشرق والغرب مصطلحان متقابلان ومتناقضان، لم يظهرا إلا حديثا، هذا لا ينفي بتاتا قدم وجود مفهومها ودلالتها، حيث إن كل مصطلح لديه من الخصائص والسمات الحضارية والتراثية ما يميزه عن الأخر.

إذا ما أدرنا تتبع تاريخ العلاقة الحضارية التي تجمع بين الشرق والغرب، وجب علينا أولا تحديد مفهوم كل مصطلح وضبطه على حدا، ليتسنى لنا معرفة طبيعة العلاقة التي جمعت بينهما.

1-1- مفهوم الشرق: إن كلمة الشرق تحمل الكثير من المفاهيم والدلالات، فإذا أردنا معرفتها "فإن التاريخ يعود بنا الى جذورها الأولى"[1]، فالشرق اختلف مفهومه من فترة زمنية الى أخرى، فكان يعني تلك الأرض التي تظم قسما واسعا من آسيا، وهي الجزيرة العربية، مصر، بلاد الرافدين وفارس وتركيا والتي يطلق عليه لفظة الشرق الأوسط، إضافة الى بلاد شمال إفريقيا التي هي الأخرى تنتمي الى الشرق، فالشرق إذا كمصطلح يطلق على البلدان العربية والإسلامية.

أمّا من الناحية الحضارية، فإن الشرق هو أصل الحضارات وأسبقها وأعرقها، فهو يضرب بجذوره في عمق تاريخ الحضارات الإنسانية، فكان له السبق في التحضر والمدنية والرقي، كان مهبط الأنبياء والمرسلين، وفيه أنزلت الرسالات السماوية الى (الإسلام، اليهودية، النصرانية)، وقد كانت "حضارة الإسلام وحضارة العرب اسم لحضارة الشرق في القرون الوسطى، ولم يكن العرب وحدهم مبتكري هذه الحضارة، ولكن جميع سكان الشرق الأدبي وقسم من إفريقيا الذين ظلوا مدة طويلة منفصلين عن الحضارة الأوروبية، آخى بينهم الإسلام، دين الدولة واللغة العربية، لغة العلم والأدب".[2] والحضارة والفكر.

---

[1]- محمد راتب حلاق، نحن والأخر، دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، د.ط 1997، ص01.

[2]- محمد حسين هيكل، بين الحضارتين الإسلامية والغربية، دار الوفاء، ط2، 1999، ص 156.

1-2- مفهوم الغرب: كلمة الغرب حملت هي أيضا تحديدات ومفاهيم متنوعة ومختلفة، فالغرب يقصد به مجموعة الدول الأوروبية ودول أمريكا الشمالية وما يدور في فلكها، وينتهج نهجها، ويسير في نظامها وذلك في مختلف الميادين السياسية منها والاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية ..الخ "فالغرب متعدد يضم عدة دول وعدة قوميات"[1] ولغات وثقافات متنوعة ومختلفة.

ومن الناحية الحضارية فالحضارة الغربية هي حضارة التقدم والتطور، وهو الأساس الذي تقوم عليه، وهي إلى ذلك تقدس المادة ولا تعترف إلا بكل ما هو ملموس، حضارة تعتمد على السرعة، الربح السريع هو غايتها، التسلط والاستعمار، الاحتقار والدونية هو أسلوبها الأمثل في تعاملها مع الآخرين "وهو عنوان السيطرة والهيمنة والبطش والاستعلاء ونزعات التفوق والمركزية الذاتية".[2] والرأسمالية المستأثرة.

وتجدر الإشارة إلى أن الشرق كان في معاملاته يعتمد على لغة واحدة، التي يتقنها ويستخدمها العرب في كتابة تاريخ حضاراتهم وثقافاتهم، بينما الغرب كان عكس غريمه الشرق، حيث كان يتعامل بلغات عديدة، فلم يشهد له أنه تعامل مع شعوب العالم بلغة واحدة، "وإنما كانت أوروبا وأمريكا عن مجموعة من الدول التي تنطق كل منها بلغتها القومية الخاصة"[3]، التي تنطق بها، ومنه فإنّ الشرق والغرب لكل منهما مفهومه، ودلالته الحضارية التي تميزه.

[1]- محمد عابد الجابري، الإسلام والغرب والأنا والأخر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009، ص179.

[2]- عبد الإله بلقريز، دراسة في مقالة الحداثيين، إعداد مركز دراسات الوحدة، ط1، 2007، ص48.

[3]- سالم معوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، ص7.

2- طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب:

إن العلاقة بين الشرق والغرب هي علاقة قديمة ضاربة في عمق التاريخ، تتميز في مجملها بالعداء والتوتر حيث شهد العالم "من زمن قديم قوتان تصطرعان ويتنازعان على السيادة إحداهما الشرق، والأخرى الغرب تمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم، ثم في الصراع بين المسلمين والروم، ثم في الصراع بين المسلمين والصليبين، ثم في الصراع بين العثمانيين والأوروبيين" [1]، وهكذا دواليك يبقى الشرق والغرب قطبين للصراع والتنازع.

فالصراع بين الشرق والغرب موجود منذ زمن قديم ولا يزال متواصل الى حد الآن، وان اختلفت الأساليب والطرق. وذلك باعتماد الغرب على سياسة الغدر والعداء في تعامله مع الشرق ومحاولة فرض ايديولوجيته عليه، وذلك لاستعماره للعديد من الدول الشرقية وخاصة العربية منها، بهدف الإخضاع والسيطرة عليه بشتى الوسائل والطرق من قتل وتشريد، تجويع وانتهاك للحرمات، استغلال للخيرات ونهب للثروات....، كل هذا ساهم في تأزم العلاقات وتدهورها "إننا مهما حرصنا على تتبع جرائم العصابة الامبريالية ضد الشعوب البريئة، فإننا نبقى في حاجة الى المزيد لمعرفتها أو معرفة قوتنا ووسائل مقاومتها "[2] ودحرها.

فالعلاقة بين الشرق والغرب كانت شائكة ومتشابكة في الكثير من الأحيان، وذلك نظرا لانعدام الحوار السياسي الفعال المبني على التسامح والاحترام المتبادل. ومن هنا سيظل الغرب بالنسبة للشرق العدو اللدود الذي يجب الحذر منه والوقوف في وجه مطامعه الخفية، وإنّ محاولة النظر إليه كنموذج فعال للتخلص من حالة التخلف والجمود الذي كان في حقيقة الأمر هو من ورائها وألحقه بالشرق لتحطيم حضارته وتشويه هويته، وإنّ الرغبة في الوصول الى ما وصل إليه الغرب من تطور وتقدم من خلال النظر إليه كنموذج ما هي إلا وسيلة يستخدمها الغرب لإغراء الشرق واحتلاله، بعد فشله عسكريا ومنه فـ" إن الغرب حاول أن يجعلنا نعتقد انه يجسد العقل الكوني الذي تنشده البشرية منذ قرون، ثم لما أعجزته

[1]- محمد محمد حسن، الإسلام والحضارة العربية، دار الإرشاد، بيروت،ط 1، 1969، ص 7.

[2]- عبد الله شريط، حوار إيديولوجي حول المسالة الصحراوية والقضية الفلسطينية، الشركة الوطنية للنشر، د.ط، ص 87.

مقاومة الغير، مقاومة السلاح ومقاومة اللسان، انكسر الغرب وبدا يتمثل ذاته كعقل منحاز متميز بالدوام عن كل من لم ينحدر منه"[1].

فتتبع الحضارة بمفاهيمها السلبية خطر كبير يهدد كيان امتنا ومقوماتها الحضارية فتزداد التبعية والتخلف والركود وهذا ما يجرنا الى عواقب وخيمة. فالغرب جاء بالاستشراق " هو إشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضاراته وفلسفاته وأديانه وروحانياته، وأثر ذلك في تطور البناء الحضاري للعالم كله"[2]، وهذا لا يعني أنه ليس له سلبيات، بالعكس له أهداف خفية فهو سلاح ذو حدين "إن المستشرقين يدسون السم في العسل، كما يقال من خلال بث الأفكار الغربية وتشويه الأحداث، وتعسف النصوص بهدف زعزعة الثقة لدى الإنسان العربي في مقوماته الحضارية والثقافية"[3] والفكرية.

يرى بعض المفكرين الغربيين في قضية اللقاء الحضاري الذي تجمع بين الشرق والغرب بقولهم "إن الشرق شرق والغرب غرب لا يلتقيان، وسيظلان مختلفين، فسيظل الشرق شرقا بمعطياته الثقافية والحضارية والأثرية والتراثية. وسيظل الغرب غربا بمعطياته الثقافية والحضارية كذلك."[4] ومن هنا ندرك تمام الإدراك أن الاختلاف بين الشرق والغرب سيظل موجودا، ولا يمكن إزالته فلكل منهما تاريخه وحضارته التي يمتاز بها.

ومنه نستنتج أن "الصراع بين الشرق والغرب كان ولا زال كالبركان يهدأ حينا ويثور أحيانا"[5]. أخرى، ليستعيد عافيته كي يقوم من جديد وهكذا.

---

[1]– سهيل الحبيب، خطاب النقد في الفكر العربي المعاصر، معالم في مشروع أخر، دار الطليعة بيروت، ص 192. نقلا عن العروي، الايدولوجيا العربية المعاصرة،ص 254.

[2]– محمد حسين هيكل، بين الحضارتين الإسلامية والعربية، نقلا عن عبد الله فكري، محمد عبد الغني حسن، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، ص 89.

[3]– إبراهيم محمود عبد الباقي، الخطاب العربي المعاصر، ص 338، نقلا عن الطربري، عبد الرحمن، العقل العربي، ص94.

[4]– ينظر: علي بن إبراهيم النملة، الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ط3، 2016، ص 46.

[5]- ينظر، سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة، بيروت، د ط، 1424هـ/2003م، ص 11.

3-المثاقفة:

3-1-المثاقفة مفهومها وأهميتها :

المثاقفة هي اصطلاح سوسيولوجي انثربولوجي له معان متداخلة يقوم أساسا على دراسة التغيير الثقافي الذي يتحقق نتيجة لشكل من أشكال الاتصال بين الثقافات المختلفة (الاستعمال، الرحلات، التبادل التجاري، الاسفار..)

ظهرت بواكير استعمالاته الأولى بداية من سنة 1880م على يد الأنثروبولوجيين الأمريكيين الذين كان لهم السبق في ابتداع هذا المفهوم وترويجه، وقد اختلفت المثاقفة في مفاهيمها واصطلاحاتها فمثلا الانجليز أطلقوا عليها لفظة acculturation أما الفرنسيون أطلقوا عليها مصطلح تداخل الحضارات interpénétration des Civilisations .

تعرف المثاقفة من قبل معظم العلماء: "على أنها مجموع الظواهر الناتجة عن الاتصال المباشر والمستمر بين مجموعة من الناس او ثقافات مختلفة، وما يترتب على ذلك من متغيرات في الأنماط الثقافية لهذه المجموعات او تلك" [1] وهذا ما يعني أن المثاقفة هي التأثر المتبادل بين الثقافات نتيجة لشكل من أشكال الاتصال بين الشعوب وهذا ما يؤدي "الى اكتساب عناصر جديدة بالنسبة لكلتا الثقافتين المتصلتين"[2] فيحدث تغير في الثقافة التي ظهرت نتيجة تغيير في الحياة الاجتماعية، والتي تعتبر أساس الاتصال الثقافي التي هدفت وركزت عليه معظم الدراسات.

وقد اكتست المثاقفة من الأهمية ما يجعلها تتبوء مكانة هامة وبالغة في التاريخ البشري، وذلك كونها وسيلة فعالة في المقاربة بين الشعوب بفعل الاحتكاك والتواصل

[1]- عبد المجيد جرادات، ثقافة المعرفة والتفكير الاستراتيجي، عالم الكتب الحديث،عمان، د ط، 2011، ص 48.

[2]- عبد الكبير الخطيبي، في الكتابة والتجربة، ترجمة محمد برادة، دار العودة، بيروت، ط1، 1980، ص 67.

المتبادل والفعال، الذي أدى الى اكتساب المعارف بمختلف أشكالها مما ساهم في تطوير المجتمعات والشعوب ثقافيا وحضاريا.

والمثاقفة في الحقيقة هي " تفاعل خياري طوعي لا يتم ولا تجنى ثماره الا برغبة تبادلية بين المتثاقفين، ولا يمكن أن تتحقق أبدا في حالات الاختلاط القهري الناتج عن الحروب والاحتكاك، اذ ينجم عن ذلك الاختلاط تشوهات ثقافية لا تتمتع بأية سمة من سمات المثاقفة الطوعية " [1]، فتأتي المثاقفة في هذه الظروف " كنوع من رد فعل كيان ثقافي اتجاه تأثيرات وضغوط ثقافية تأتيه من الخارج، ومارس عليه مباشرة أو طريق غير مباشرة[2].

3-2-الفرق بين المثاقفة والغزو الثقافي :

ظهرت المثافقة على إنها استلاب حضاري وغزو ثقافي، يهدف الى محو الاخر وطمس معالمة وفرض التبعية عليه والنظر اليه نظرة استعلائية؛ أي نظرة احتقار ودونية للآخر، وهي في الحقيقة كل هذه الادعاءات ماهي الا افتراء على المثاقفة التي تقوم على أهداف نبيلة، فهي تستدعي الاحترام المتبادل، والتسامح بين جميع أطرافها، فأرادوا تلفيق المثاقفة بخصائص الغزو الثقافي أي تغليف السم بالعسل واستخدام مصطلح المثاقفة دريعة للاختباء ورائها ومنه" يستهدف الغزو الثقافي إلى احتلال العقل، وغزوه من الداخل واستغلال حالات الضعف الذاتي؛ لتخريب المناعة الذاتية للكيان المغزو، ومن ثم دوام الهيمنة على الإدارة والإمكانات القومية برمتها في غنى عن الأسلحة التقليدية، لأنه مزود بسلاحه الفتاك الداخلي أو التنميط الثقافي من خلال آلية صناعة العقل وتوجيه الثقافة"[3] نحو وجهة تغريبية يريدها الغرب.

---

[1] -محمد سليمان، أسئلة الهويات والمثاقفة في عصر العولمة، معهد ابراهيم للدراسات الاعلامية والثقافية، رام الله، فلسطين، ط1، 2008، ص5.

[2]- عبد الرزاق دواي، في الخطاب عن الثقافة والهوية الثقافية، مجلة أيس، العدد الثاني، مؤسسة الاخيار للصحافة، الجزائر، 2007، ص12.

[3] -محمد زرمان، الترجمة وفعل المثاقفة، جامعة باتنة، الجزائر، ص3

http://faculty-ksu-edu.sa/aljarf/research%libray/

وقد وجدت للمثاقفة ثلاثة أصناف شائعة حيث احد اقطابها مهيمنا على الآخر وذلك من خلال:

1- **المثاقفة الحوارية:** تزعم التقاء الثقافات على أساس التبادل والتواصل والحوار البناء بين أطرافها.

2- **المثاقفة الصدامية:** وهو الطابع الذي ميز العلاقة بين الشرق والغرب وهو صراع فرضه القوي الضعيف والمتقدم على الآخر المتخلف والغالب على المغلوب.

3- **المثاقفة الاستئصالية:** وهي سياسة انتهجها الغرب في معاملتهم مع الشرق وهي سياسة تهدف الى المساس بالمبادئ والقيم الدينية والتراثية والمعالم الوطنية أي المساس بالهوية.

3-3-المثاقفة بين الشرق (الأنا) والغرب (الآخر) وأهم معوقاتها:

عرفت المثاقفة بين الشرق والغرب الكثير من الاهتزاز؛ فهي لم ترق الى المستوى المطلوب، ولم تتم بالشكل اللازم فقد واجهته الكثير من العقبات والمعوقات، التي اعاقت عملية التثاقف والتفاعل بين الذات والآخر، وكان من بين أسبابها أن المثاقفة العربية اختزلت الواقع اجمالا في ثنائية (الأنا) و (الآخر)، وهذا ما أدى الى فشل عملية المثاقفة في أغلب الأحيان، فالأنا لم يصبح في معزل عن العالم، ولم يعد العالم في عزلة عنه، فرفض الآخر ما هو الا عزلة للذات، تغيبه حضاريا وثقافيا ومعرفيا وكذا تاريخيا، وهذا لا يعني اطلاقا الذوبان في حضارة الآخر وترك حضارة الأنا، ولكن تتثاقف بما يخدم حضارتنا ومقوماتها التاريخية؛ أي المثاقفة الراشدة التي تبنى على قاعدة سليمة وذلك بتوظيف "جملة من النماذج المعرفية، والمناهج الحكمية والموازين الدقيقة للفصل بين المطلق والنسبي، والمشترك والخاص، والمؤقت والدائم من ذلك التراث، وبذلك استوعب المطلق والمشترك الانساني

والدائم والمستمر"[1]، وذلك في مختلف المجالات والأصعدة سواء الأدبية منها أو التاريخية أو العلمية...

إنّ مثاقفة الشرق والغرب تبدو في أحايين كثيرة بين الشد والجذب، مما ولدت عدة تجاذبات تمخض عنها صراع الثنائية منها:

1- مثاقفة بين مطرقة دعاة التجديد والانفتاح وسندان دعاة التمسك بالقديم و الانغلاق فقد عرفت الثقافة العربية في مثاقفتها مع الغرب توترات شديدة بين تيار متمسك بالقديم وتيار منفتح على الجديد خاصة في الجانب الأدبي والروائي منها.

2- الضعف وعدم القدرة في معرفة الذات (الشرق) والشعور بالخوف والقلق من الآخر النقيض الغربي.

3- المثاقفة مع الغرب بين الرغبة في اكتشاف الآخر وبين استصغار الذات والشعور بالدونية، وهو ما خلفه الاستعمار في نفسية العربي أو الشرقي بصفة عامة وهو شعوره بالدونية من جهة ومن جهة ثانية نظرة اعجاب لكل ما هو غربي على كامل الأصعدة الثقافية والاجتماعية وحتى السلوكية، وتبدى ذلك من خلال تأثير ثقافة الغالب على ثقافة المغلوب.

وقد تأثر الجانب الأدبي كغيره من الجوانب الأخرى وخاصة الاعمال الروائية منها التي ظهرت بداية من رحلة رفاعة الطهطاوي الى يومنا هذا، " فالمثقفون العرب اشتغلوا منذ زمن طويل لم ينته بعد في فكرة الغرب الحضاري الثقافي، الكامل إزاء فكرة الشرق الفقير المتخلف وظل هذا القلق الوجودي القومي يسكن اعماقهم، ويتجلى في ايداعاتهم و ممارساتهم ومواقفهم من الذات والعالم عبر التأليف، والتعليم والاتصال بالجماهير"[2]. والملاحظ أن مختلف الأعمال الروائية ألبست العلاقة بين الشرق والغرب لباسا جنسيا وذلك

[1] -عبد الوهاب المسيري، اشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، منشورات معهد العالمي الفكر الاسلامي،الولايات المتحدة الامريكية، ط2، 1996، ص 615/1.

[2] -ينظر: عبد الله أبو هيف، القصة العربية الحديثة والغرب، اتحاد الكتاب العرب،دمشق،ط1994،1، 21-22.

بإعطاء الذكورة للشرق والأنوثة للغرب، فكان هذا الملمح يخيم على أغلب الروايات التي تتناول اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب، وكان للباحثين عدة أساليب ومناهج في طرح هذا الموضوع.

4-تجليات ثنائية الشرق والغرب في المنجز الروائي الحديث والمعاصر:

تعد قضية الشرق والغرب من أهم القضايا التي عالجتها المتون الروائية العربية، وأسال موضوعها الكثير من الحبر؛ ولعل أبرز الروايات التي تناولت ثنائية الشرق والغرب " رواية عصفور من الشرق " لتوفيق الحكيم سنة 1938م، "قنديل ام هاشم" ليحي حقي 1944م، "الحي اللاتيني" لسهيل ادريس 1953م ورواية "موسم الهجرة الى الشمال" لطيب صالح سنة 1966م وهي موضوع دراستنا وغيرها من الروايات التي برزت فيها إشكالية الشرق والغرب والصراع الحضاري بينهما الذي يلين تارة ويتصلب تارة أخرى.

وقد جاءت رواية توفيق الحكيم "عصفور من الشرق" من أجل ان تطرح رؤية نقدية هجائية للغرب يحملها البطل منذ ان وضع قدمه في قلب العاصة الغربية باريس " فهو لا يتأثر بالغرب وانما هو مرتبط بشرقه الى أبعد الحدود". [1] عكست شخصية "محسن" الطالب المصري الذي اختار عاصمة الجن والملائكة مكانا لاختبار قوته الروحية في مواجهة القوة المادية الطاغية في جنبات المدينة الفرنسية بشوارعها ومنتجاتها ونسائها وأشياء كثيرة لم يسبق لـ"محسن" أن رآها فكان القاضي والحكم في استحسان الأمور واستقباحها. "محسن" عصفور من الشرق من طينة شرقية تعاني هي الأخرى من قهر وانتداب بريطاني حل مكان غزو نابليون بونابرت لمصر سنة 1798م، وبالتالي راحت هذه الشخصية متأرجحة بين تراث الشرق وروحانيته وبين غرب لا يؤمن الا بما هو مادي.

في لحظة تنغمس شخصية "محسن" في حضارة الغرب، تنشد القوة والعلا عبر علاقته بقاطعة التذاكر في أحد مسارح باريس "سوزي ديبون" التي حاول أن يجعلها امرأة غير

[1]- شريف بموسى عبد القادر، اشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية، مقاربة نفسية، اطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الادب العربي الحديث، الجزائر، 2004،ص 277.

عادية، تشبه سائر النساء من خلال تصرفاته معها، والتي كانت تعبر عن فجر جديد في تاريخ الغرام في نظر صديقه "أندريه"، ولعل الهدية التي ابتاعها لمعشوقته هي ببغاء عوض حقيبة يد أو قبعة أو زهور أو أي نوع من الهدايا التي تشتهيها النساء عادة، لخير دليل على هذا الزعم، فكانت تلك العلاقة السبب المباشر لسقوط وانحدار بطلها الى أسفل المراتب.

إن الغرض الأساسي الذي يرمي "توفيق الحكيم" الوصول اليه من خلال هذه الرواية هو المزاوجة بين مادية الغرب، وروحانية الشرق، فمحسن العصفور لا يهمه في الغرب إلا جانب المرأة.

وتبقى رواية "عصفور الشرق" أولى نتاج طرح قضية الصراع الحضاري بين الشرق والغرب لكنه "صراع من وزن الريشة" [1] على حد تعبير جورج طرابيشي.

كما تعرض الروائي "حقي يحي" في روايته "قنديل أم هاشم" الى التنافر القائم بين الشرق والغرب، وهي رواية تسرد لنا " قصة البطل أو الشاب المصري "إسماعيل" الذي انتقل الى إنجلترا لأجل دراسة الطب، ترعرع هذا البطل في حي السيدة زينب، ونشأ نشأة تقليدية محافظة لكن بعد انتقاله أصبح شابا محروما يشعر بلذة غريبة في أن يدنس بين المترددات على المساجد... إنه جائع الى الجنس؛ بل الى النساء كلهن لا سيما نساء أوروبا"[2]، لكن العلاقة بين الرجل العربي والمرأة الأوروبية أو الغربية بصفة عامة تتسم غالبا بالعداء والتوتر والاضطراب.

نمر الى نموذج آخر من نماذج الروايات العربية التي تناولت ثنائية الشرق والغرب وكان لها أثر في بلورة الصراع الحضاري روائيا وهي رواية "الحي اللاتيني" لسهيل ادريس سنة 1953م، اذ تعتبر هذه الرواية إحدى أهم الروايات الحضارية التي تصور مشاعر النقص والدونية اتجاه الغرب عامة والمرأة العربية على وجه الخصوص، فهذه المشاعر

[1]– جورج طرابيشي، شرق وغرب رجولة وانوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار طليعة للنشر، بيروت، ط4،. 1997،ص 46.

[2] –جان نعوم طنوس، صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، دار المنهل، بيروت، ط1، 2009، ص 197.

نجدها في معظم فصول الرواية من بدايتها الى نهايتها، ولكن شعور البطل بالنقص، لم يكن وليد اللحظة التي وضع فيها قدماه على أرضية "باريس"، وإنما منذ أن كان في وطنه الشرقي لبنان وعندما ذهب الى فرنسا للدراسة تعرف على فتاة فرنسية تدعى "جانين" ليجد له حلا لعقد الكبت التي يعانيها الشرقي في مجتمعه، وما يهم في هذه الرواية هو الرؤية القومية التي تنظر الى الغرب بوصفه طرفا في الصراع، على الرغم من أن الطرف العربي في الصراع يقيم علاقته مع الغرب عبر الحب والجنس، ومن ثمة "جاءت الصورة للجنس في "الحي اللاتيني"، صورة فوتوغرافية تعني كثيرا باللحظة الميكانيكية في العلاقة البدنية بين الرجل والمرأة [1]، لكن اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب على ضوء هذا الطابع لن يتحقق بفعل التقاليد والقيم الاجتماعية والقومية، التي تميز هذا عن ذاك، فالتزاوج بين الحضارتين لم يتم ولا يمكن أن يتم في وقتنا الراهن، فما زالت عشرات الرواسب بيننا وبينهم.

وتعد رواية "موسم الهجرة الى الشمال" لطيب صالح من أهم الروايات التي تناولت "الصراع الحضاري بين الشرق والغرب" [2]، وهي من الأعمال العربية الأولى التي ناقشت هذا الموضوع، وتطرقت الى لقاء الثقافات وتفاعلها وصورة الآخر الغربي بعيون الشرقي، والغربي بعيون الآخر الشرقي الذي ينظر اليه كشخص قادم من عالم رومنسي يسوده السحر ويكتنفه الغموض.

وخلاصة القول من خلال ما تم ذكره أن هناك روايات كثيرة لا مجال لعدها وذكرها تطرقت وناقشت ثنائية الشرق والغرب، حيث نجد معظم الشخصيات العربية في الروايات هم من الرجال الذين يتصلون بالغرب عبر المرأة، وتبدو علاقاتهم بهن يسودها التوتر والعداء ذلك أن شخصياتهم تتسم بالتصلب والانطواء على تقاليد محافظة، كذلك رغبتهم في الانتقام من الغرب الذي سلط على أوطانهم مختلف أنواع الظلم والقهر من خلال الاستعمار "فجدل القهر الكولونيالي والاغتصاب الجنسي قد جعل الكثير من أبناء المستعمرات المتهورين والمخصبين نفسيا يهتفون بينهم وبين أنفسهم عند مرآهم لامرأة بيضاء رقيقة البشرة.. هذه امرأة اذا ركبتها فقد ركبت أمة بأكملها"[3]

---

[1] –غالي شكري، أزمة الجنس في القصة العربية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1978، ص 182.

[2] –محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة،الكويت،1998م،ص252.

[3]– جورج طرابيشي، "شرق وغرب" رجولة وانوثة، دراسة في ازمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، ص 9–10.

الفصل الثاني

تمظهرات الشرق والغرب

في رواية موسم الهجرة الى الشمال

1-المرأة الغربية

2-المرأة الشرقية

3-مصطفى سعيد بين الغرب والشرق

4-ذكورة الشرق وأنوثة الغرب في رواية موسم الهجرة الى الشمال

1-المرأة الغربية :

الثقافة البريطانية شيء لا يمكن أن يحاط به في حديث أو أحاديث، ويكفي أن نلاحظ أن الثقافة البريطانية الحديثة في هذا العصر الحديث إنما هي مجموعة ما أنتجه العقل الانجليزي في القرون الأربعة منذ القرن السادس عشر إلى الآن، يكفي أن نلاحظ أن كثيرا من الذين اشتركوا في تكوين هذه الثقافة هم الأدباء والعلماء والفلاسفة وأصحاب الدين.

والحرية غاية ضحى من أجلها الكثيرون وثار في سبيلها الشعوب، التي تعاني الاضطهاد معتبرة إياها فطرة في الإنسان، وهي ما يميز البشر عن غيرهم من المخلوقات، فقد حارب الإنسان وناضل؛ لتحقيق حريته ورفض العبودية والتبعية لغيره معتبرا الحرية مبدأ الإنسانية، وأساس لحياة الإنسان فهو لا يستطيع العيش بدونها ومنها تحرير عقل الإنسان من الخرافات والاعتقادات الخاطئة المبنية على الجهل.

ثارت العديد من الشعوب في سبيل تحقيقها وسخرت لها الأرواح والأموال، وكانت المرأة تعيش الظلم والاضطهاد، ولم تعد مخلوقا مكرما أو مساويا للرجل، ولهذا ظهرت عدة جمعيات ومنظمات وحركات مطالبة بتحرير المرأة وضمان حقوقها التي حرمت منها ومساواتها بالرجل في جميع المجالات.

يعد الغرب وخاصة بريطانيا على "أنها موطن النظام البريطاني وموطن الحرية وموطن الديمقراطية"[1]، وهي أرض الحرية والديمقراطية، تقدر قيمة الحرية، وتعتبرها فطرة في الإنسان، وتكرسها عن طريق القوانين، فالاعتداء عن حرية الغير أو محاولة سلبها تعتبر جريمة يعاقب عليها القانون أشد العقاب، حيث يتمتع الشخص الذي يعيش في بريطانيا سواء أكان بريطانيا أم أجنبيا بكل الحقوق والحريات، وعليه احترام حريات الغير وعدم التعدي عليها.

[1]– طه حسين وآخرون، الحياة والحركة الفكرية في بريطانيا، مؤسسة هنداوي للتعلم والثقافة، د ط، ص 25

ظهرت عدة حركات ومنظمات مطالبة بحقوق المرأة ومساواتها مع الرجل وتحريرها وإعطائها قيمتها الإنسانية ومن بين هذه الحركات منظمة « أرض النساء» والحركة الشعبية لتعليم حقوق المرأة.

أهم النشاطات حول حقوق المرأة:

- 1789 إعلان اوليمبياد دي غوج بشأن حقوق المرأة والمواطنة.

- 1888 إنشاء المجلس الدولي للمرأة.

- 1921 الاتفاقية الدولية لحظر التجارة بالمرأة والأطفال.

- 1933 الاتفاقية الدولية لقمع التجارة بالراشدات.

- 2000 بروتوكول منع ومعاقبة الاتجار بالأشخاص خاصة النساء والأطفال.

-2000 الدورة الاستثنائية الثالثة والعشرون للجمعية العامة بشأن المرأة، المساواة بين الجنسين.

كثيرا ما نسمع في مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام عن حرية واستقلالية المرأة الغربية، والدور الهام الذي تلعبه، وتتمتع به في المجتمع، والمساواة بين المرأة والرجل في مختلف مجالات الحياة وتمتعها بكافة الحقوق السياسية والاقتصادية وحريتها المطلقة بدون أي تقييد لا بالعادات والتقليد، ولا بالدين، فالقانون ضمن لها مطلق الحرية إلى درجة الانفلات وهذه الحرية لم تكن وليدة اللحظة بل كانت نتيجة أعمال كثيرة من المنظمات والحركات والجمعيات الناشطة في مجال حقوق الإنسان، وتعتبر انجلترا موطن هذه الحركات والمنظمات فالمرأة البريطانية تعيش الحرية المطلقة بكل معانيها سياسيا واجتماعيا ونفسيا فالقانون عمل على ترسيخ هذه الحقوق للنساء الغربيات ومساواتهن مع الرجال في كل المجالات.

فالحرية التي تتمتع بها المرأة الغربية لها ايجابيات في تحسين وضع المرأة إلا أنه كان لها سلبيات كثيرة على المستوى الأخلاقي والاجتماعي هذا الانفلات أدى إلى كثير من الظواهر الأخلاقية والفاسدة ودمار وفساد العلاقات الاجتماعية.

1-2-صور من حياة المرأة الغربية:

1-الحرية السياسية :

يقول فوكو ياما "إن من المؤكد أن النساء الغربيات سينتخبن المزيد في القيادات النسائية اللاتي سيكون ميلهن نحو التدخل العسكري أقل مما اعتاده الرجال الذين في منتصف أعمارهن"[1] .

إن الحرية عند النساء الغربيات وصلت القمة، فالمرأة الغربية استطاعت أن تصل إلى مناصب ومستويات كبيرة في الدولة، وأصبح لهن حق أخذ القرارات المصيرية حسب ميولاتهن ورغباتهن بكل حرية وبدون أي اعتراض عليهن واعتباره حق من حقوقهن المسلوبة التي يضمنها لهن القانون.

احتقار رجال الدين للمرأة:

يقول القس بونا فتيرا "إذا رأيتم المرأة فلا تحسبوا أنكم شاهدتم موجودا بشريا ولا موجود موحشا لأن ما ترونه هو نفسه الشيطان وإذا تكلمت فإن يسمعونه فهو فحيح الأفعى>>[2]

احتقر رجال الدين الغربيين المرأة واعتبروها شيطانا وجردوها من قيمتها على أنها مخلوق بشري، ونظروا إليها نظرة دونية ونضرة احتقار لها، وجعلوها وسيلة بين يدي الرجل، وأنه لا وجود لجنس أنثوي بل هي ذكر ناقص، وبالتالي عليها طاعة الرجل، وهو عليه بإهانتها واحتقارها واعتبارها مخلوق ناقص، ويعتقدون أنها فشلت في الاختبار الأول[الخطيئة الكبرى]

1 -مازن المطبقاني، صور من حياة المرأة في الغرب، ط1، 2005، ص 22.

2-محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والاسلام، اللامع الجندي للنشر والتوزيع، ب ط، ص 42.

فهي أساس الخطأ وأنه ليس لها وجود، بل هي إحدى توابع الرجل وعليه أن يتصرف فيها ويتسلط عليها ويستعبدها لأنها ناقصة.

1- السلطات القضائية في نيويورك تتيح للنساء كشف صدورهن « تقدمت مجموعة من النساء بطلب للسلطات في ولاية نيويورك أن يسمح لهن بكشف صدورهن أسوة بالرجال وخاصة عندما يشتد الحر، وكان من رأي النساء بكشف صدورهن أنهن يردن المساواة مع الرجال الذين يسمح لهم النظام بذلك، أما الأمر الثاني فيزعمن أن صدر المرأة ليس له علاقة بالإثارة الجنسية. »[1]

هذا الطلب الذي تقدمت به هؤلاء النسوة أدى إلى تعارض في الآراء بين موافقين ومعارضين له، وقد أجرت إذاعة بريطانية استطلاعا للرأي حول هذا الموضوع، واختلفت أراء المستمعين بين موافقين على هذا الطلب وبين معارضين واصيفينه بالمأساة، ويتساءلون كيف يصبح المجتمع إذا سمح لهؤلاء النساء بكشف صدورها وما هي القيم التي تترسخ في الأطفال وما الذي سيتعلمونه من هذه الظواهر.

1-3-انحلال الروابط الأسرية:

اعترف قساوسة التنصير بانحلال روابط الأسرة في المجتمعات الغربية يقولون «اليوم وعلى ضوء الواقع الحالي في تفكك الأسرة في مجتمعنا الغربي وارتفاع معدل الجرائم وحالات الطلاق والزيادة المستمرة في الانحرافات الجنسية لم يبق لنا إلا القليل لنفخر بهم»[2]

وهذا ما يظهر حقيقة في المجتمعات الغربية من اختلاط للأنساب والاستغناء على مؤسسات الزواج، وكثرة الأولاد غير الشرعيين حيث يبلغون ربع الأولاد الشرعيين تقريبا، فقد وصلت الأسرة الغربية الانحطاط فمعظم هذه الأجيال لا تعرف معنى الأسرة، فأغلبية

[1]- مازن المطبقاني، صور من حياة المرأة في الغرب، ص 35

[2] - محمد عمارة ، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام،. مكتبة اللامح الجندي للنشر والتوزيع، ب.ط، ص8.

الأطفال يعيشون مع طرف واحد دون الأخر أي مع الأم وحدها، أو الأب وحده، وكذا انتشار الخيانة والعلاقات غير الشرعية، واختلاط الناس حيث تقول الدراسات عام 1984حوالي 8 ملايين امرأة يعشن وحدهن مع أطفالهن دون مساعدة الآباء أو أي مساعدة خارجية.

وكذلك ارتفاع نسبة العزوبية بسبب تعايش الرجال والنساء دون زواج، مما يؤدي بصفة آلية إلى ارتفاع نسبة الأولاد المولودون خارج مؤسسة الزواج، وهذا ما يؤدي إلى إنشاء أجيال تعاني أمراض نفسية، لأنها لم تجد تربية جيدة وسوية أن حرمان الطفل من الوالدين أو أحدهما يؤدي الى نشؤه نشأة غير سوية وقد وصلت بهم إلى أن الطفل أبوه يسكن بجواره لكنه لا يعرفه.

1-4- ارتفاع نسبة الانتحار خاصة عند الفتيات:

تقدر دراسات غربية أنه "في كل تسعة أيام توجد ستة محاولات انتحار أربع منهن من جانب الفتيات، يعرف الإنسان هذه الأيام أن محاولة الانتحار في كثير من الأحيان هي رد فعل لوضع آني معين، والدافع خيبة الحب، أو سبب أخر هو في الكثير من الأحيان قابل للتفسير والإيضاح، لكن يجب أن يعرف الإنسان أن محاولة الانتحار غالبا ما تكون نتيجة تطور مرض يبدأ جذوره من الطفولة"[1]

إن عملية الانتحار دوافعها ليست وليدة اللحظة، بل هي نتاج عدة مشاكل ومصاعب تواجه الإنسان منذ الطفولة، فاليأس من أهم هذه المشاكل، فهي نتيجة أوضاع نفسية وعائلية مأساوية، فمعظم الفتيات اللاتي ينتحرن أو حاولن الانتحار وصلن إلى درجة اليأس من الحياة، لتعدد المشاكل وتفقدها فغياب الدفء العائلي والأسرة وفرط الحرية عند الفتيات مما يجعلهن يمررن بحالات نفسية معقدة، ولكونهن بعيدات عن جو الأسرة ولا يتلقين النصح

[1]- مصطفى البياعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار الوراق للنشر والتوزيع، ص

والتوجيه من طرف الأبوين وفرط الحرية مما يؤدي بهن إلى اليأس من الحياة، لغياب الحب والحنان من حياتهن حتى يشعرن أنه غير مرغوب فيهن ولا يوجد من يحبهن في الحياة مما يجعلهن يلجأن إلى الانتحار والقضاء على حياتهن.

1-5-ضابطة إنجليزية تواجه مجلس تأديب:

اتهمت الضابطة (برتبة الكابتن) أنها كانت هي علاقة غرامية مع حارس مدفعية، وقد سبق لهذه المرأة أن أغرمت مئتين وألف جنيه ووجه إليها توبيخ شديد لعدم طاعتها الأوامر العسكرية ولم تكتفي المرأة بذلك بل سمحت لإحدى الصحف الشعبية أن تلتقط لها صور شبه عارية، وزيادة على ذلك فهذه الضابطة الأم لطفلين أصبحت صورتها شبه عارية في حجم كبير يعلقها الجنود العزاب في غرفهم» [1]

هذه إحدى أوجه الحرية التي تتمتع بها المرأة الغربية وصلت إلى مراتب عليا في الجيش، ولم تكتف بذلك، بل أصبحت تقيم علاقات مع الجنود والضباط دون حياء، وتفتخر بفعلتها هذه رغم ما نالته من توبيخ، والغريب في الأمر هو لو أنها أقامت علاقة غرامية مع من هو أعلى منها مرتبة لم توبخ، ولم تعاقب، هذا المنطق غريب فالخطأ يبقى خطأ سواء أكان مع من هو أعلى أو أدنى مرتبة منها، فرط الحرية جعلها تسمح لإحدى الصحف بالتقاط صور شبه عارية لها وأصبحت منتشرة في كل مكان وعند الجنود يعلقونها في غرفهم فقد أصبحت مثلهم في الحب والشهوات الجنسية، مع العلم أنها أم لطفلين إلا أن ذلك لم يمنعها من فعل ما فعلته دون أي تردد، دون أن تفكر فيما سيعاني منه أولادها وكيف سينشئون وهم يرون تصرفاتها اللاأخلاقية هذه.

[1]- مازن المطبقاني، صور من حياة المرأة في الغرب، ص 36.

1-6-النزعة النسوية المتطرفة:

تبنت نزعة أنثوية متطرفة مبدأ الصراع بين الجنسين الإناث والذكور انطلاقا من دعوى أن العداء والصراع هما أصل العلاقة بينهما ودعوة إلى ثورة على الدين وعلى الله وعلى اللغة والثقافة والعادات والتقاليد والأعراف بتعميم وإطلاق وسعت إلى عالم تتمحور فيه المرأة حول ذاتها مستقلة استقلالا كاملا على عالم الرجال»[1]

بالغة هذه الحركات في طلبها حول حرية المرأة إلى درجة التطرف، حيث أرادوا تمركز العالم حول المرأة ورفض الجنس الذكري، ويرون أنه لا قيمة للرجال وأن النساء يستطعن العيش بدونهم وبذلك كانت لهم نظرة الشذوذ السحاقي بين النساء وإلى التحرر الانحلالي، فالشذوذ الجنسي من أخطر المشاكل التي تصيب المجتمع وتهدد سيره وتطوره والحفاظ على الجنس البشري، فهذه النزعة مالت إلى المغالاة والتطرف.

1-7- ارتفاع نسبة العزوبية:

ارتفعت نسبة العزوبية في المجتمع الغربي وذلك يعود إلى عدة أسباب من بينها تعايش الرجال والنساء دون زواج، وإنجاب أطفال خارج مؤسسات الزواج تقول الفيلسوفة سيمون دي بوقرار « الزواج مؤسسة لقهر المرأة يقطع أمالها وأحلامها واعتبرت الزواج مؤسسة لقهر المرأة يجب هدمها وإلغاؤها»[2]

كثيرا ما نجد رجال يعيشون مع نساء دون زواج، ويعد هذا التصرف أمر عادي في المجتمعات الغربية بل هو محبب عند الكثيرين أكثر من الزواج فهم ينفرون من الزواج ويعتبرونه سجن المرأة والرجل وتقيدا لحريتهما وهذا مما أدى إلى ولادة الأطفال خارج دائرة الزواج، وكذلك كثرة الخيانة، وكثيرة هذه العلاقات لأنه ليس لها صفة رسمية ونشأة جيل من

[1]- محمد عمارة، تحرير المرأة بين المغرب والاسلام، ص 38.

[2]-المرجع نفسه، ص 38.

الأطفال الذين لا يعرفون أبائهم فهم ولدوا نتيجة هذه العلاقات العابرة فمبدأ الحب والدفء العائلي ليس موجودا في المجتمع مما أدى إلى انتشار المشاكل الاجتماعية والجرائم بين تعدد الزوجات وتعدد الصديقات(الخليلات).

حكم قاض بريطاني على مايكل توماس الذي يبلغ من العمر أربعا وأربعين سنة بالسجن لمدة ثمانية أشهر لأنه متزوج من ثلاث نساء في وقت واحد واستطاع أن يخدع الزوجات بلسان معسول والإدعاء بأنه مطلق أو أرمل وصرح القاضي الذي حكم عليه بأن سلوك مايكل المشين يستحق العقوبة لأنه لم يراع حقوق الأطفال وهو عمل يدل على فقر في الأخلاق>> [1]

ما يدعو للغرابة هنا هو معاقبة الرجل الذي تزوج من ثلاث نساء واعتبارها جريمة فالقاضي اتهمه بعدم مراعاة حقوق المرأة وحقوق الطفل ولكن القاضي والمجتمع الغربي لا يهتم بالذين يعيشان معا– رجل وامرأة– دون زواج ولم ينتبهوا لمدى خطورة وضعهم، ولم يرو حالة الأطفال الذين هم نتيجة هذه العلاقات الغير شرعية ولا القانونية، فنسبة الأطفال الذين يولدون خارج علاقة الزواج تعادل ربع الأطفال الشرعيين .

بالإضافة إلى اختلاط الأنساب لدرجة أن الطفل لا يعرف من يكون والده وقد يكون أخاه صديق له ولكن لا يعرف أنه أخاه، فهذا الاختلاط جاء نتيجة لهذه العلاقات، لكن المجتمع الغربي لا يهتم بها ولم يحاول ردعها نهائيا.

[1]–مازن المطبقاني، صورة من حياة المرأة في الغرب، ص 36.

2- المرأة الشرقية:

تختلف حياة المرأة الشرقية عن حياة المرأة الغربية اختلافا واضحا، وجليا للعيان، وبالرغم في الحركات التي ظهرت في الشرق التي تنادي بحرية المرأة، إلا أنها لم تحرر كليا المرأة الغربية بل مازالت تعاني من عدة قيود منها العادات والتقاليد والأعراف وهيمنة الرجل في المجتمع الذي يعيق حريتها، وهذا الاختلاف واضح جدا فمازالت المرأة الشرقية تعاني من العديد من المشاكل تمنعها بلوغ الحرية التي تتمتع بها المرأة الغربية، رغم المجهودات المبذولة من طرف الجمعيات ومنظمات الدفاع عن المرأة.

جاء الدين الإسلامي بعد جهل كبير عانى منه الإنسان لعقود كثيرة، وأكثر من عانى من هذا الجهل هي المرأة، فقد عانت الاحتقار والاضطهاد من طرف الرجل واعتبارها مخلوقا ليس له قيمة مطلقا بل إنها كانت توئد تقتل وهي طفلة صغيرة فكان الرجل حين يبشر بإبنة يظل وجهه عابسا ومنزعجا، بل إنهم يعتقدون أن الفتاة نحس على والدها، وقد ظل حال المرأة هكذا إلى أن جاء الإسلام دين الحق والنور نظرة إلى المرأة نظرة مغايرة.

2-1- الإسلام والمرأة:

مما ترويخ كتب السير والتاريخ الإسلامي أن النبي "أجلى بني قنينقاع عن المدينة ولقد كانت الخلافة بتطبيقها للإسلام على مدى العصور المنصرمة نموذجا مضيئا لحقوق المرأة ودورها السياسي>>[1]

علاقة النساء بالرجال في الإسلام هي علاقة المساواة ولكنها مساواة الشقين المتكاملين، لا مساواة "الندين المتماثلين" وذلك حتى تدوم سعادة الجنسين بالتكامل. ولا يحدث التنافر بسبب التماثل وبهذا تتميز هذه المساواة في الإسلام عن نصيرتها في الفكر

[1]-علاء أبو صالح، حقوق المرأة ان تصبح سلعة للبيع.
-http://pal-tahrir.info/article/4694 حقوق-المرأة-في-الغرب-أن-تصبح-سلعة-للبيع-وماكينة-للربح،-وحريتها-هي-إفسادها.html

الغربي وإذ نحن شئنا الإشارة مجرد الإشارة إلى بعض المعالم القرآنية التي تمثل سمات النموذج الإسلامي لتحرير المرأة سنجد الكثير»[1]، يقول الله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ (1)–النساء–.

﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ **(21)** –الروم–.

فالإسلام رسخ المساواة بين الرجل والمرأة المبنية على المودة والرحمة مع التمايز بين الأنوثة والذكورة الذي يحقق التكامل والسعادة للطرفين فهذا التمايز يحافظ على حاجة كل جنس للأخر الذي بدونه لن يسعد أي من الطرفين في هذه الحياة.

فقد سوى الله تعالى بين الرجال والنساء في الخلق ولم يفضل جنس على أخر لما ساوى الله تعالى بينهم في الأحكام والتكاليف والعقوبات وكان الخطاب الإلهي عاما "لا يأيها المؤمنون" ولم يكن موجها لجنس دون الأخر، كما أن الرسول الكريم جعل للمرأة قيمة عظيمة في الدولة الإسلامية وأوصى بها حيث يقول صلى الله عليه وسلم» واستوصوا بالنساء خيرا >>.

2–3– قوامة الرجل على المرأة :

يقول تعالى ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾ النساء (34).

[1]–محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والاسلام، ص 16.

المقصود بالقوامة هو الرئاسة فلابد للمؤسسة أن يكون لها رئيس الذي يمكنه تسييرها فالرجل يمثل الرأس والمرأة تمثل البدن ولا استغناء لأحدهم عن الأخر، فالقوامة لا تعني المساواة فالرجل تؤهله ذكورته للقيادة في بعض الأمور وترك للأنثى قيادة ما في استطاعتها.

المرأة الشرقية تغيرت حالتها مع مرور الزمن ونالت بعض الحرية التي لم تصل إل درجة المطلق الذي تتمتع به المرأة الغربية، فالمرأة الشرقية لازالت تخضع للأعراف والتقاليد وسيطرة المجتمع عليها إلا أنها حققت بعض الحرية باعتبارها كانت إنسان إلا أن المجتمع الشرقي لا يزال يسيطر عليه العنصر الذكوري ولازالت المرأة تخضع له.

إلا أن الإسلام يساوي بين المرأة والرجل وحفظ التمايز لكل جنس من الأخر وجعل للمرأة حقوق مساوية للرجل ورفع الغبن عنها الذي كانت تعاني منه قديما.

فالمرأة الشرقية أصبحت تتعلم وتذهب إلى المدارس والجامعات مثلها مثل الرجل وأصبح لها قرار سياسي إلا أنها لازالت تخضع نوعا ما لبعض القيود وتعاني من بعض المشاكل بسبب العادات والأعراف والمجتمع الشرقي الذي تعتبر الرجل هو الأساس والمحور.

3- مصطفى سعيد بين الغرب والشرق

3-1-مصطفى سعيد في الغرب

بعدما نبغ سعيد في دراسته في السنوات الاولى نال منحة ليسافر إلى الغرب للدراسة، وهناك تحدث الصدفة والانبهار بالحضارة الغربية، فهي شيء جديد بالنسبة له غير مألوف لم يسبق له أن رآه، يعيش مصطفى سعيد في مجتمع كل غريب عن الأخر، متحرر كليا من العادات والتقاليد والأعراف، بل لا يعترف بها ولا يرى لها وجودا، كل يجري وراء مصلحته الخاصة، المادة والحرية من اهم شعارات هذا المجتمع الذي يحرر كليات من كل القيود الموجودة في المجتمع الشرقي .

هنا تتطور أحداث الرواية حيث أن مصطفى سعيد لديه مكبوتات كثيرة يحاول التنفيس عنها وهذا المجتمع يسمح له بذلك .

تتمتع المرأة الغربية بحرية مطلقة ولا تتقيد بأي شيء سواءا كانت عادات أو أعراف، فهي تحضا بكل الحرية، هذا ما جعل مصطفى سعيد يظهر مكبوتاته، فالمجتمع الغربي مجتمع مادي بالدرجة الأولى لا قيمة للمشاعر عندهم، بل المادة هي التي تحدد العلاقات بين الناس، مما أدى بمصطفى سعيد الى نسيان كل العادات والتقاليد وأعراف المجتمع الشرقي، فالجري وراء المصالح وتقديس المادة والحرية جعل قلبه ميتا، لا يعرف معنى الحب والاحترام، بل إن مصالحه وشهواته الجنسية هي التي كانت تسيره ويقدسها وكان يحاول الوصول إليها بالطرق الشرعية والغير شرعية .

مصطفى سعيد استوعب الحضارة الغربية بعقله وفهمها جيدا حيث كان يتمتع بقدرات عقلية متميزة، إلا أن هذه الحضارة دمرت قلبه وجمدت مشاعره و أحاسيسه " مصطفى سعيد يا حضارات المخلفين انسان نبيل استوعب عقله حضارة الغرب ولكنها حطمت قلبه"[1]، حب الذات وطغيان المصالح هما أساس العلاقة بين الافراد المجتمع الغربي، هذا ما أثر على مصطفى سعيد تأثيرا بالغا حيث تجرد من كل المشاعر والأحاسيس وقتلت قلبه كليا في

[1] – الطيب صالح، موسم الهجرة الى الشمال، دار العودة ،بيروت، لبنان، ط13، 1981، ص34.

معاملته مع النساء الغريبات اللاتي كان يراهن مجرد فرائس يصطادهن ثم يمر إلى صيد آخر، وحيث لا يمل من الطراد والاصطياد بكل الوسائل المختلفة بدون أن يأبه بهن أو بمشاعرهن .

هذه هي الحضارة الغربية وتأثيرها على غير اهلها تأثيرا سلبيا مدمرا ففي الانتقال من مجتمع شرقي ذو أصالة وعرافة، محافظا على عاداته وتقاليده، إلى مجتمع غربي يقدس المادة وحب الذات، وطغيان المصالح، فمصطفى سعيد عبر عن تصادم بين حضارتين الشرقية والغربية كل بمقوماتها ومميزاتها مما جعله يبحر في الحضارة الغربية ومبادئها التي تتنافى مع المجتمع الشرقي، وهنا كان انبهار مصطفى سعيد بالحضارة الغربية وحبه لها عبارة عن سكين قطع قلبه وقتل فيه المشاعر والأحاسيس .

عبر الروائي الطيب صالح عن طريق شخصية مصطفى سعيد عن مكبوتات ربما هي داخل كل رجل شرقي عانى من الحضارة الغربية وقسوتها عليه و على أمته، ففي داخل مصطفى سعيد حقد كبير اتجاه الحضارة الغربية رغم الانبهار والدهشة منها، ومن طريقة الحياة هناك والتطور الحاصل في كل المجالات، فهذا لم يجعله يحترمها ويحسن لأهلها، بل على العكس فقد عاملهم بالمثل وربما اكثر وأبشع مما عاملوه، فلم يتوقف عن أهانة الحضارة الغربية وذلك بإهانته للنساء الغربيات وأذيتهن فهو ينتقم بطريقة غير مباشرة من الحضارة الغربية العملاقة المهيمنة والمسيطرة على الشعوب الشرقية والمستغلة لهم بأبشع الطرق .

"التحدث عن الحضارة الغربية بالنسبة إلى مصطفى سعيد هو التحدث عن نساء يوقعهن في شباكه ويعاشرهن ثم يرحل بعدما ينهي مهمته بنجاح"[1].

3-2-مصطفى سعيد في الشرق:

بعد قضاء مصطفى سعيد سبع سنوات في السجن عقابا عن جريمة قتل زوجته جين موريس خرج من السجن وعاد الى السودان، واستقر في بلدة صغيرة على ضفاف نهر النيل قد أنهى معركته وانتقامه من الغرب، وانتهت كل علاقاته معهم، بعدما تسبب في انتحار الكثير من

[1]-ينظر: الرواية ص18.

حبيباته، وقتل زوجته "جين موريس"، استقر في القرية بالقرب من نهر النيل عاد أصله ووطنه مكسورا بعد رحلة دامت سنوات عديدة، بعد انتهاء حرب كان يخوضها ميدانها كان بريطانيا، كان يشر الهجوم بكل وسائل الحربية عن النساء الغربيات، يعود مصطفى سعيد الى الوطن ليستقر، دون أن يعرف أحدا من يكون وتزوج من حسنة محجوب ورزق بطفلين.

عاد مصطفى سعيد الى الأصل تخلى عن كل تلك العقلية التي كانت لديه، فقد أصبح رجلا صالحا "إن مصطفى طول إقامته في البلدة لم يبدو منه شيء، منفر وإنه يحضر صلاة الجمعة في المسجد بانتظام ويسارع بذارعه وفتحه في الأفراح والأتراح"[1].

أصبح مصطفى سعيد من الرجال الصالحين في القرية فهو مزارع مجتهد يشتغل طول النهار في حقله، فمصطفى سعيد لم يعد يشرب الخمر ولا يتسكع مع النساء كما كان سابقا، بل أصبح معظم وقته في الحقل أو في البيت مع أولاده أو في المسجد، فأصبح محبوبا لدى أهل القرية لحسن أخلاقه وحسن معاشرته لهم، فمصطفى سعيد تغير تغيرا جذريا عكس ما كان عليه في بريطانيا، فقد استفاد أهل القرية من علمه وعبقريته في تسيير الشؤون أراضيهم "وكان مصطفى سعيد بينهم وكان يجنون أمرا يتعلق بتوزيع الماء في الحقول، ويبدو أن بعض الناس ومنهم من هو عضو في اللجنة كانوا يفتحون الماء في حقولهم قبل الموعد المحدد لهم واحتد النقاش وتصايحوا بعضهم عن بعض و فجأة رأيت مصطفى يهب واقفا، هدأ اللغط واستمعوا إليه باحترام زائد قال: إن الخضوع للنظام في المشروع أمر مهم وإلا اختلطت الأمور وسادت الفوضى وأن على أعضاء اللجنة خاصة أن يكونوا قدوة لغيرهم وإن خالفوا القانون عوقبوا كبقية الناس" [2].

فمصطفى سعيد أصبح يحظى بتقدير واحترام من أهل القرية لم يحظى بهم من قبل، فهم يحترمونه ويستمعون لكلامه جيدا، وهذا إن دل عن شيء إنما يدل عن أن سلوك

[1]–ينظر: الرواية ص02.

[2]– الرواية ص04.

وأفعال مصطفى سعيد أصبحت جيدة وحميدة، وقد كان له الفضل الكبير في عدة مشاريع رجعت بالفائدة عن أهل القرية كمشروع توزيع الماء عن الحقول وتنظيم الزراعة في القرية.

مصطفى سعيد بعد عودته الى وطنه وأصله عاد الى سليقته بأنه رجل شرقي يعيش في بلدته الصغيرة، لديه عائلة وأولاد ويعمل في أرضه، فقد عاش فترة معتبرة في البلدة الصغيرة مع زوجته وولديه، وعمل في أرضه مزارعا لفترة من الزمن، كان يتصف بالغموض وكان مجهولا لدى الكثير من القرويين، لم يعرف أحد حقيقته، عرف على أنه تاجر من الخرطوم، أخلاقه وسلوكه الحميدة جعلاه محبوبا عند أهل القرية ومحترما كثيرا لديهم، فطيلة حياته هناك لم يصدر منه فعل غريب أو شيء سيء بل على عكس ذلك عرف بكل ما هو جميل من الأفعال والأخلاق[1].

ومن هنا فمصطفى سعيد بين الشرق والغرب والشرق اختلاف كبير، وفرق شاسع، فقد كان ينظر للغرب نظرة حقد واحتقار، محاولا الانتقام منهم بأي طريقة كانت، فتحجرت مشاعره ومات قلبه، وكأنه خلق من الكراهية والحقد، فحاول الانتقام وذلك بإشباع غرائزه الجنسية وإقامته لعلاقات جنسية مع الكثير من النساء الغربيات والكذب عليهن، فالخداع كان من أهم مبادئه في تلك العلاقات.

على عكس مصطفى سعيد الرجل الشرقي الذي يعيش في وطنه، في قرية على ضفاف نهر النيل، الرجل النبيل العامل في مزرعته بجد وإتقان، ذو أخلاق حميدة يحظى باحترام وتقدير كل أهالي القرية التي يعيش فيها، لديه عائلة زوجة وأولاد تربطه بهم علاقة جميلة وقوية، يعيش حياة هادئة وبسيطة بعيدة عن الغرب ومؤثراته بعيدا عن النساء الغربيات والعلاقات الجنسية المحرمة والغرائز الحيوانية.

فرق شاسع بين مصطفى سعيد في الغرب وفي الشرق، كل هذا من تأثير الحضارة الغربية التي تطلق سمومها على الشرق.

[1]– الرواية ص06.

وفاة مصطفى سعيد بعد فيضان النهر كانت هذه نهايته قد اختارها لنفسه أراد الرحيل لأنه لم يستطع المكوث والاستقرار نتيجة لتنقله من القاهرة الى إنكلترا الى الدنمارك وغيرها من المدن.

كان مصطفى سعيد يريد نهاية في الشمال في ليلة جليدية باردة بين قوم لا يعرفونه ولا يعنيهم أمره، كانت نهاية الفاتحين الغزاة التي كان يريدها لكن لم يحظى بها "الطبيعة تكون قد منت عليه بالنهاية التي كان يريدها لنفسه، تصور عز الصيف في شهر يوليو العتيد النهر اللامبالي فاض كما لم يفض منذ ثلاثين عام، الظلام يصهر عناصر الطبيعة جميعا في عنصر واد محايد أقدم من النهر ذاته وأقل منه اكتراثا هكذا يجب أن تكون نهاية هذا البطل"[1].

[1]–الرواية ص56.

4-ذكورة الشرق وأنوثة الغرب في رواية موسم الهجرة الى الشمال :

الذكورة للشرق والأنوثة للغرب هي العلاقة الجدلية التي طرحتها رواية " موسم الهجرة الى الشمال" بين طياتها وثناياها، حيث قامت هذه الرواية بتجنيس العلاقة الحضارية التي تجمع بين الشرق والغرب بطريقة واسلوب يختلف كل الاختلاف عن الروايات الاخرى التي تطرقت الى نفس موضوع الصراع الحضاري بين الشرق والغرب.

فالجنس هنا لعب دورا محوريا ومفصليا وكان الاسلوب الامثل الذي ارتآه بطل الرواية "مصطفى سعيد" لإرواء ظمأه واشباع شهواته وتنفيذ مشروعه ومخططه الانتقامي من الغرب وحضارته ككل، في حقيقة الأمر هي مسالة تصفية حسابات مع مستعمر بريطاني غاشم الذي استعمر بلاده " السودان لزمن طويل وأذاق أهلها مختلف وأشد أنواع الظلم والقهر والعنف والاستبداد .

وكان الجنس قد ارتبط بعنف شديد ورغبة جامحة في الانتقام ردا على ظلمهم وعنفهم واستبدادهم اللاإنساني واللامحدود على شرقه وارضه على أبناء جلدته، مصطفى سعيد أتى اليهم ليستعمرهم في نسائهم في أنوثتهم في قلب حضارتهم ومركز حضنهم الدافئ " لندن مدينة الأمن والسلام "، مصطفى سعيد كان شابا يافعا ومثقفا ذكيا يفعل كل شيء "حتى ادخل المرأة في فراشي ثم اذهب لصيد آخر"[1] فكان يقرأ الشعر، ويتحدث في الدين و الفلسفة ويقول كلاما عن الشرق وروحانياته، جعل مصطفى سعيد من غرفته مكانا وميدانا لهذا الصراع حيث كانت بمثابة وكرا للكذب والتزييف والافتراء " التي يبنيها عن عمد أكذوبة، أكذوبة الصندل والند وريش النعام وتماثيل العاج والابنوس والصور والرسوم لغابات النخل

[1] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، ص33.

على شاطئ النيل، وقوارب على صفحة الماء اشرعتها كأجنحة الحمام وشموس تغرب على جبال البحر الأحمر، وقوافل من الجمال تحب السير على كثبان الرمل على حدود اليمن .[1]

كانت هذه الغرفة عبارة عن مقبرة حيث ان كل بنت تدخل اليها تحفر قبرها بيدها وتلقى حتفها فيها، دخلتها "ان همند" فوجدت فيما بعد في بيتها منتحرة بالغاز ومعها رسالة تقول " مستر مصطفى لعنة الله عليك[2]، تكرر المشهد نفسه فكانت النهاية كذلك لـ " شيلاغرينود" و"ايزابيلا سيمور ".

ومصطفى سعيد يعتبر هذا أسلوبه المفضل في الصراع فقد اعتمد على الكذب كسلاح فعال حتى يتغلب على النساء الغربيات وعرف كيف يوقعهن في شباكه استغل نقطة ضعفهن، وقد استعمل الكذب بكفاءة عالية يتجلى ذلك فيما قصه على " ايزابيلا سيمور " سألتني ونحن نشرب الشاي عن بلدي، "رويت لها حكايات ملفقة عن صحاري ذهبية الرمال وادغال تتصايح فيها حيوانات لا وجود لها، قلت لها ان شوارع عاصمة بلادي تعج بالأفيال والأسود" .[3]

ويواصل في كذبه وتزييفه ذلك الى درجة أنه يصدق كذبته في بعض الأحيان، فقد كان بارعا في الفبركة والتلفيق . فيخبرها بموت والديه غرقا في النيل عندما كان على متن زورق .فحينما تسمع كلمة " نيل" وتصيح مرددة اياها بنوع من النشوة، حينها يتيقن مصطفى سعيد ان هذه الانثى الغربية قد وقعت في الفخ واكلت الطعم " الطائر يا مستر مصطفى " قد وقع في الشرك النيل ذلك الاله الأفعى . فقد فاز بضحية جديدة. المدينة قد تحولت الى امرأة وما هو الا يوم او أسبوع حتى اضرب خيمتي ..."[4].

[1]–المصدر نفسه،ص 147.

[2]–الطيب صالح، موسم الهجرة الى الشمال، ص 148.

[3]–المصدر نفسه، ص 41.

[4]– المصدر نفسه، ص 43

وإن كان الاستعمار البريطاني بما يملكه من رقي حضاري وثقافي قد الهمه واوهمه بعطائه وفضله الثقافي عليه في موطنه الأصلي السودان، "فمن الزاوية الفكرية فإن استمداد المعرفة من الغرب، هو نوع من الاغتصاب"[1]؛ ليثبت للغرب قوته ورجولته وفحولته وان الغرب ضعيفا لأنه في الحقيقة ما هو الا انثى ضعيفة وامرأة عاجزة، " فمصطفى سعيد" بداخله وعلى المستوى اللاشعوري الجمعي والرمزي اعتراف بانتصار وغلبت رجولة الشرق على انوثة الغرب خاصة عند اعتراف " ان همند" بسلطة مصطفى سعيد عليها وبخضوعها تحت سيطرته بقولها " انت مصطفى سعيد مولاي وسيدي وان سوسن جاريتك "[2].

ومن هنا، فإن مصطفى سعيد يثبت قوة رجولته وجبروته وضعف انوثة النساء الغربيات وخضوعهن تحت رحمته، انما يحاول ان يؤكد على ضعف الغرب المستعمر امام قوة الشرق المستعمر، فهو يحاول أن ينتقم لا شعوريا ودون قصد لشرقه الضعيف، حضاريا بأسلوبه الخاص " وهكذا تم نقل العلاقة بين الرجل والمرأة من طابعها الثنائي الى العلاقة مع الغرب بمفهومها الجمعي "[3].

مصطفى سعيد كان يثأر من الاستعمار الذي استعمر بلاده واستعبد سكانها نهب خيراتها بطريقته الخاصة، كان ينتقم لحضارته التي اندثرت بسبب هذه الحضارة الغربية.

فمصطفى سعيد لم يكن يبحث على علاقة طبيعية مع المرأة الغربية بقدر ما كان يبحث قائمة السيطرة والاستغلال ليثبت وجوده فالفتيات الغربيات كن يرين في مصطفى سعيد مظهرا للقوة والفحولة الوافدة من افريقيا التي يفتقدنها في الغرب، فهو في نظرهن مجرد حيوان افريقي وكائن غريب من الشرق يستحق ان تلهو به النساء الغربيات لإشباع رغباتهن،

[1]– نور الدين بن صدوق، الغرب في الرواية العربية، قنديل ام هاشم نموذجا، دار الثقافة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1995، ص 42

[2]– مصدر سبق ، ص 147.

[3] –مفيد نجم، العلاقة مع الغرب في روايات سورية، مجلة الموقف الادبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد 399، تموز 2004، ص 60.

هي علاقة تعود بناء الى ذاكرة التاريخ في علاقة المستعمر بالبلاد المحتلة ونظرته الدونية لها .

مصطفى سعيد لم يحب قط تلك الفتيات، لقد كانت علاقته بهن مجرد علاقة جسدية ليس إلا.

لقد صنعت الحضارة الغربية من مصطفى سعيد انسانا بليدا بدون شعور ولا احساس انسان يتميز بالجفاء على الرغم من ان " مصطفى سعيد يا حضرات المحلفين انسان استوعب عقله حضارة الغرب، لكنها حطمت قلبه، هاتان الفتاتان لم يقتلهما مصطفى سعيد ولكن قتلهما جرثوم مرض عضال أصابهما منذ ألف عام[1]. لذلك وجد " سير ارثر هغند" في قاعة المحكمة نفسه امام انسان مختلف لا يشبه الاخرين " رأيت متهمين يبكون ويغمى عليهم بعد ان يفرغ من استجوابهم لكنه هذه المرة كان يصارع جثته.

- هل تسببت في انتحار همند ؟
- لا ادري.
- وايزابيلا سيمور.
- لا ادري.
- هل قتلت جين موريس ؟
- نعم
- قتلتها عمدا ؟
- نعم [2]

فجين موريس لم تكن كغيرها من النساء الاخريات اللواتي وقعت في شباك الصياد "مصطفى سعيد" بسهولة فهي لم تكن تعيره اهتمامها فتاة متكبرة لا تابه به لكنه هو كان

[1]– الطيب صالح، موسم الهجرة الى الشمال، ص37.36

[2] –المصدر نفسه، ص 35–36.

يطاردها دون يأس ولا ملل للانتقام منها وجعلها تدفع الثمن غاليا نتيجة تعنتها وتكبرها وذلك بتحقيق رغبته الجنسية منها حيث يقول " لبثت اطاردها ثلاثة اعوام، كل يوم يزداد الطراد، انني تعبت مطاردتك لي، ومن جريي امامك تزوجيني " [1] بالفعل نال مراده بالزواج منها، لكنه لم يستفد شيئا، فكانت تتشاجر وتتصارع معه " تزوجتها غرفة نومي صارت ساحة حرب، فراشي كان قطعة من الجحيم " فمصطفى سعيد لم يستطع التغلب عليها رغم ما يفعله بها الا انها كانت تنتصر عليه بابتسامتها " وفي الصباح ارى الابتسامة ما فتئت على حالها، فاعلم انني خسرت الحرب مرة اخرى، كأنني شهريار كيف تشتريه في السوق بدينار"[2]، فكانت نهاية " جين موريس " على يد مصطفى سعيد حين قتلها .

هكذ انتقم مصطفى سعيد من الغرب عن طريق نسائه وبطريقته الخاصة ردا على الاستعمار والقهر الذي سببته بريطانيا على ارضه السودان وبلدان الشرق عامة وما خلفته من تدمير وتخريب وانتهاك وقتل وتجويع واستغلالا للخيرات والانتفاع بها لصالحها . فقد صورت هذه الرواية في مواقفها واحداثها للصراع بين الشرق الغرب عن طريق الجنس الذي كان أداة فعالة في تصوير هذا الصراع وسيلة بارعة في الانتقام.

[1]– المصدر نفسه، ص 160.

[2]– المصدر نفسه، ص 37.

خاتمة

خاتمة:

شكلت رواية "موسم الهجرة الى الشمال" للطيب صالح رؤية اخرى حول الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، وبين العالم العربي والعالم الغربي، وبين الذات والآخر من خلال تصوير الكاتب للذات الشرقية المتمثلة في شخصية "مصطفى سعيد" والآخر الغربي المتمثل في النساء الغربيات.

وخلصت هذه الدراسة الى مجموعة من النتائج التي يمكن استعراضها كما يلي :

- الشرق والغرب مفهومان واسعان لهما دلالات كثيرة لا يمكن حصرها في التعريف العلمي الدقيق، فهما يتوسعان وينحصران من عصر الى آخر.
- العلاقة بين الشرق والغرب تتسم بالحقد والكراهية.
- نظرة الغرب الى الشرق نظرة احتقار ودونية.
- يعبر مصطلح المثاقفة عن ظاهرة التأثير والتأثر بين الثقافات البشرية ببعضها البعض، بفعل الاتصال بينهما يفرضه ظروف تاريخية واجتماعية واقتصادية.
- استغلال الغرب لمصطلح المثاقفة في معاملتها مع الشرق لأغراض خفية.
- موضوع الغرب من أبرز المواضيع التي تطرق اليها الروائيون العرب كموضوع سياسي واقتصادي ونفسي، حيث يعبر الروائي عن الضمير الجماعي للمجتمع الغربي او النخبة المثقفة وينوب عنهم.
- إن الشرق والغرب في الرواية العربية هما فضاءات متحركان ومتحولان ففي كل زمن يضاف اليهما معنى جديد.
- جسد الطيب صالح في الرواية الصراع الحضاري بين الشرق والغرب.
- ربط العلاقة الحضارية بين الشرق والغرب بالذكورة والانوثة في رواية موسم الهجرة إلى الشمال.
- معاشرة بطل الرواية "مصطفى سعيد" للنساء الغربيات بهدف الانتقام من الحضارة الغربية.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

-الطيب صالح، موسم الهجرة الى الشمال، دار العودة، بيروت- لبنان، ط13، 1981.

- إبراهيم محمود عبد الباقي، الخطاب العربي المعاصر، نقلا عن الطربري عبد الرحمن، العقل العربي.

-جان نعوم طنوس، صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط1، 2009

-جورج طرابيشي، شرق وغرب رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية. دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط4، 1997

-سالم معوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت لبنان، ط1، 1998.

-سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1424هـ-2003م.

-سهيل الحبيب، خطاب النقد في الفكر العربي المعاصر، معالم مشروع أخر، دار الطليعة، بيروت نقلا عن العروي، الايدولوجيا العربية المعاصرة.

-طه حسين وآخرون، الحياة والحركة الفكرية في بريطانيا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط.

-عبد الإله بلقريز، دراسة في مقالة الحداثيين، إعداد مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007.

-عبد الرزاق دواي، في الخطاب عن الثقافة والهوية الثقافية، مجلة أيس، العدد الثاني، مؤسسة الأخيار للصحافة، الجزائر، 2007.

-عبد الكبير الخطيبي، في الكتابة والتجربة، ترجمة محمد برادة، دار العودة، بيروت، 1980.

-عبد الله أبو هيف، القصة العربية الحديثة والغرب، إتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا، ط1، 1994.

-عبد الله شريط، حوار إيديولوجي حول المسألة الصحراوية والقضية الفلسطينية، الشركة الوطنية للنشر، د.ط.

-عبد المجيد جرادات، ثقافة المعرفة والتفكير الإستراتيجي، عالم الكتب الحديث، عمان، د.ط، 2011.

-عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، منشورات المعهد العلمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1996 .

-علي بن إبراهيم النملة، الشرق والغرب، منطلقات العلاقات ومحدداتها، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ط3، 2016.

-غاني شكرة، أزمة الجنس في القصة العربية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1978.

-مازن المطبقاني، صور من حياة المرأة بين الغرب والإسلام، ط2، 2005.

-محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1998.

-محمد حسين هيكل، الحضارتين الإسلامية والعربية، دار الوفاء، ط2، 1999.

-محمد راتب الحلاق، نحن والأخر دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، منشورات إتحاد الكتاب العرب، سوريا، د.ط، 1997.

-محمد سليمان، أسئلة الهوايات والمثاقفة في عصر العولمة، معهد إبراهيم للدراسات الإعلامية والثقافية، رام الله- فلسطين، ط1، 2008.

-محمد عابر الجابري، الإسلام والغرب (الأنا والآخر)، الشبكة العربية للأبحاث، ط1، 2009.

- محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، مكتبة اللامع الحندي للنشر والتوزيع.

-محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة العربية، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1969.

-مصطفى البياعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار الوراف للنشر والتوزيع، د.ط.

-مفيد نجم، العلاقة مع الغرب في الروايات السورية، مجلة الموفق الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد 399، تموز 2004.

-نور الدين صدوق، الغرب في الرواية العربية، قنديل أم هاشم انموذجا، دار الثقافة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1995.

المجلات:

–عبد الرزاق دواي، في الخطاب عن الثقافة والهوية الثقافية، مجلة أيس، العدد الثاني، مؤسسة الأخيار للصحافة، الجزائر، 2007.

المواقع الإلكترونية:

- محمد زرمان، الترجمة وفعل المثاقفة، جامعة باتنة، الجزائر

http:// Faculté. Ksu. Edu. c/ aljerf/ recherche %20 Library/

الرسائل الجامعية:

- شريف موسى عبد القادر، أشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية، مقاربة نفسية، أطروحة دكتوراه الدولة في الأدب العربي الحديث، الجزائر، 2004.

الملاحـــــق

1-نبذة عن حياة الروائي الطيب صالح واهم أعماله :

نشأته ووفاته : الطيب صالح، روائي عربي من السودان ولد عام 1348هـ/1929م بإقليم مروي شمال السودان بقرية كرمكول بالقرب من قرية دابة الفقراء، وهي احدى قرى قبيلة الركابية التي ينتسب اليها، توفي الطيب صالح في احدى مستشفيات العاصمة البريطانية لندن ووري جثمانه الثرى يوم الجمعة 20 فبراير في السودان.

حياته المهنية:

تنقل الطيب صالح بين عدة مواقع مهنية فعدا عن خبرة قصيرة في ادارة المدرسة، عمل سنوات طويلة من حياته بالقسم العربي لهيئة الاذاعة البريطانية وترقى بها حتى وصل الى منصب مدير قسم الدراما وبعد استقالته عاد الى السودان وعمل لفترة في اذاعة السودان ثم هاجر الى دولة قطر وعمل في وزارة اعلامها وكيلا ومشرفا على أجهزتها، عمل بعد ذلك مديرا اقليميا في من منظمة اليونيسكو في باريس وعمل ممثلا لهذه المنظمة في الخليج العربي وكانت حالة الترحال والتنقل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب قد أكسبته خبرة واسعة بأحوال الحياة والعالم، واهم من ذلك احوال أمته وقضاياه.

هذا ما جسده في كتاباته وأعماله الروائية وخاصة روايته العالمية "موسم الهجرة الى الشمال".

أدبه :

الطيب صالح كتب العديد من الروايات التي ترجمت الى أكثر من ثلاثين لغة وهي "موسم الهجرة الى الشمال" و"عرس الزين" و"مريود" و"ضوء البيت" و"دومة" و"دحامد"،"منسي". تعتبر رواية "موسم الهجرة الى الشمال" واحدة من أفضل من مئة رواية في العالم وقد حصلت على العديد من الجوائز، وقد نشرت لأول مرة في اواخر الستينيات من القرن العشرين في بيروت، وتم تتويجه كعبقري في الأدب العبقري في عام 2001 ثم

الاعتراف بكتابه من قبل أكاديمية في دمشق على أنه صاحب الرواية العربية الافضل في القرن العشرين .

أصدر "الطيب صالح" ثلاث روايات، وعدة مجموعات قصصية قصيرة حولت روايته "عرس الزين" الى دراما في ليبيا ولفيلم سينمائي من اخراج المخرج الكويتي "خالد صديق" في اواخر السبعينيات، فاز في مهرجان "كان" في مجال الصحافة، كتب خلال عشر أعوام عمود أسبوعي في صحيفة لندنية تصدر بالعربية تحت اسم "المجلة" خلال عمله في هيئة الاذاعة البريطانية تطرق الطيب الى مواضيع ادبية متنوعة، عشرة اعوام وهو يعيش في باريس حيث ينتقل بين مهن مختلفة، كان آخرها عمله كممثل لليونيسكو في دول الخليج.

مؤلفاته :

- رواية موسم الهجرة الى الشمال.
- ضوء البيت (بندرشاه).
- دومة ودحامد.
- عرس الزين.
- مريود.
- نخلة على جدول.
- منسي.
- المضيئون كالنجوم.
- للمدن تفرد وحديث الشرق.
- للمدن وتفرد وحديث الغرب.
- في صحبة المتنبي ورفاقه في رحاب الجنادرية والاصيلة.
- وطني السودان.
- ذكريات المواسم
- خواطر الترحال.
- مقدمات.

2-ملخص رواية موسم الهجرة إلى الشمال:

الفصل الأول:

تتكون رواية موسم الهجرة الى الشمال من ثلاثة فصول، الفصل الأول يتشكل من ثماني عشر صفحة، في البداية الراوي يحكي عن وصوله للقرية قادما من أوروبا بعدما أنهى دراسته هناك، فبمجرد وصوله يلاحظ وجود شخص غريب بين أهل القرية لم يعرفه ولم يره من قبل هو "مصطفى سعيد" فيهتم لأمره ويسأل عنه أهل القرية محاولا معرفة كل شيء عنه، لكن لم يستفد شيء من سؤال أهل القرية سوى معلومات سطحية وبسيطة، وبعد لقائه بمصطفى سعيد في جلسة شراب يسمعه يقرأ شعرا انجليزيا بعدما شرب الخمر فأصيب بالدهشة عند سماعه وهذا ما زاد اهتمامه به، فمعرفة مصطفى سعيد أن الراوي مختلف عن أهل القرية الفلاحين البسطاء فيدعوه الى جلسة في بيته منفردين فيخبره بالحقيقة عن هويته مع طلبه من الراوي كتمان هذا الامر عن أهل القرية فأقسم الراوي بأن لا يخبر ابدا من أهل القرية فأقسم الراوي بأن لا يخبر أبدا من أهل القرية وسيبقي الموضوع سرا بينهما، فأقسم الراوي على ذلك، ثم أخرج مصطفى سعيد شهادة ميلاده وجواز سفره عليه أختام دول أوروبية وأسيوية عديدة، وبعدها بدأ مصطفى سعيد يروي حكايته ويتحدث عن ماضي حياته..

الفصل الثاني:

في الفصل الثاني يبدأ مصطفى سعيد بإخبار الروائي عن طفولته وأنه كان الابن الوحيد لتاجر الجمال توفي والده قبل ولادته، وترعرع وحيدا برفقة والدته حيث كان يحس بالوحدة وأن والدته بعيدة عنه بالرغم من أنهما يعيشان مع بعضهما البعض، حيث كان اكثر استقلالية واقل عاطفية عن باقي الاطفال في سنه، وفي ذلك الوقت (بداية القرن العشرين) كان العديد من السودانيين خائفين من الجهد الذي يبذله البريطانيون ببناء المدارس لأهل البلد فكانوا يخفون أطفالهم من رجال الحكومة الذي كانوا يجوبون البلاد لإقناع الأهالي

بإخراط أولادهم في المدارس ولكن (مصطفى) تطوع للذهاب إلى المدرسة بعد أن رأى موظف في الحكومة يرتدي قبعة جميلة اعجبته فأحب أن يصبح موظف في الحكومة كي يستطيع ارتداء واحدة مثلها هذه الحادثة بأنها مهمة لأنها أول قرار اتخذه بمحض إرادته، وبمساعدة ذاكرته القوية وموهبته في حل المشاكل، سرعان ما أصبح الطالب الانجب في مدرسته محتقرا صداقة باقي أقرانه بسبب الاختلافات الذهنية بينهم وعندما بلغ من العمر اثنا عشر عاما، رتب(مستر ستووك ويل) له بالذهاب لثانوية في القاهرة لإكمال دراسته، غير أن مصطفى لم يشعر أي امتنان نحو هذا الرجل.

وبعد وداع بلا عواطف لأمه توجه للقاهرة حيث هناك استقبله (مستر روبنسون) وهو مدير المدرسة التي سيلتحق بها في محطة القطار برفقة زوجته، ويذكر مصطفى بأنه أثير جنسيا عندما طوقته (مسز رو بنسون) بذراعيها أثناء تحيته، ويذكر أيضا أنها كانت صديقته الوحيدة عندما أعتقل بجرم القتل عندما أصبح يافعا.

وفي السنوات الثالثة اللاحقة أخذ (مستر روبنسون) والذي يتحدث اللغة العربية والمهتم بالحضارة الاسلامية، أخذ مصطفى لرؤية الأماكن الثقافية المهمة حول القاهرة، أما(مسز روبنسون) فقد ثقفته وقدمت إليه كتاب عن الغرب ومؤلفيه، وبعد أن بلغ الخامسة عشر قبل في جامعة لندن فحزم أمتعته للسفر إلى هناك وذكر أن حياته في القاهرة لم تكن واضحة وأنه توجه إلى لندن الاكتشاف آفاق جديدة غير معلومة، وبعد وصوله انجلترا اكتشف أنها تفتقد ضوضاء وضجيج القاهرة وأنها مدينة مرتبة أكواخها وقنوات مياه والناس هادئون وظرفاء وعاد بذاكرته إلى الأمام حين تذكر أول لقائه ب (جين موريس) في حفلة بعد عشر سنين من وصوله إنجلترا. كان عامل ولكن جذبته »جين« بسبب غرورها العالي وجمالها عندما دخلت الغرفة التي يجمع فيها عشيقاته، وفي هذه الوقت غمر نفسه في المشهد اللندني الأدبي والسياسي وأصبحت هوايته هو اغراء وتصييد النساء.

وفي المرة الثانية التي رأى بها جين قالت له بأنه يملك أقبح وجه رأته على الاطلاق فقرر أن يجعلها تدفع الثمن ما قالته.

وفي صباح اليوم التالي :استيقظ والى جواره تنام عشيقته الحالية "آن هنمد" وهي فتاة صغيرة تبلغ الحالية من العمر عشرين عاما وتدرس الدراسات الشرقية في جامعة اكسفورد، وقال أثناء سرده لعلاقته بأنه أدخلها فراشه وأفقدها عذريتها محولا إياها الى عاهرة في فراشه وأنها انتحرت باستنشاقها الغاز تاركة قصاصة ورق كتب عليها:(مستر سعيد لعنه آلله عليك) وعاد بالذاكرة مرة أخرى إلى الأمام وتذكر مشهد محاكمته حيث أتهم: بقتل (جين موريس) كما اتهم بالتسبب بانتحار(آن هنمد) (شيلا غرين) وود و(ايزابيال سيمور).

وكان محامي (مصطفى)أستاذه السابق (ماكس ويل فوستركين) الذي قال بأنه وجميع تلك الفتيات هم ضحايا لصراع الحضارات وأنه غير ملام على موت الفتيات لان الحضارة الغربية أقل تحضرا مما يجب أن تكون عليه.

ومن خلال سطور الفصل نعلم بأن "مصطفى" أصبح محاضرا في الاقتصاد في جامعة لندن عندما بلغ الرابعة والعشرين وأصبح مشهورا في دعوته لتحقيق الإنسانية في شؤون الاقتصاد.

ثم عاد مصطفى مرة ثانية إلى علاقته ب(جين موريس) فبعد مطاردته لها بلا هوادة. طلبت(جين) أخيرا منه أن يتزوجها لانها سئمت من مطاردته لها. وكان زواجهما عاطفيا وصاخبا، وبالنسبة له الجنس معها هو عمل من الأعمال العدوانية. ثم انحرف الحديث حين تذكر عشيقته السابقة (شيلا غرين وود) وهي نادلة في مطعم (سوهو) وهي فتات بسيطة كانت عذراء حين التقاها، وأقدمت على الانتحار فيما بعد.

وتذكر(مصطفى) أيضا رؤيته المرأة جميلة ناضجة واسمها(إيزابيال سيمور) في زاوية في حديقة " الهايد بارك" وعند رؤيته لها تذكر(مستر روبنسون).دعاها مصطفى للقائه على

شاطئ البحر حيث قبلت دعوته. وحتى يلفت انتباهها أخذ يلفق لها قصص عن " صحراء ذهبية الرمال وأدغال تتصايح فيها الحيوانات لا وجود لها. وأثناء تسامرهما، سألته (إيزابيلا) عن عرقه حيث أجابها: (أنا مثل عطيل عربي إفريقي) أما بشأن اسمه فقد كذب قائلا بأنه يدعى (أمين حسن) .وأوضح (مصطفى) للراوي أن سر الحياة السعيدة يكمن في بساطة العيش وهو ذات السر الذي يعرفه جد الراوي ولكن مصطفى مدان بطموحه لعيش حيات معقدة وملتوية وعاد(مصطفى) للحديث عن(إيزابيلا) قائلا أنها قاومت اغراءه في بادئ الأمر ولكن وبعد أن مارست الجنس معه أخبرته بأنها تحبه ثم انفجرت باكية.

الفصل الثالث:

ثم عاد الراوي بالذاكرة إلى الليلة التي بدأ فيها مصطفى بالتحدث عن قصة حياته، وبعد انتهاء الليلة أخذ الراوي يطرح عدة تساؤلات استفهامات عن قريته(ود حامد) وأثناء مشيه في القرية مر من جانب منزل (ود الريس) وسمع صوت زوجته وهي تصرخ من لذة الجنس فشعر الراوي بالخجل. وذكر الراوي أنه ورغم معرفته للقرية معرفة وثيقة ألا أنه لم يسبق أن رآها في هذا الوقت المتأخر من الليل، ومر من جانب منزل جده وسمع صوت جده وهو يتحضر لصلاة الفجر وبعدما شوشت قصة(مصطفى) تفكيره أحسن الراوي بالراحة بعد سماعه لجده وهو يقيم صلاته ويقرأ أوراده وأدعيته. وهنا يبدأ الراوي يسرد بعض الاختلافات بينه وبين(مصطفى سعيد) وعلى الرغم من أن الراوي قد عاشر نساء إنجليزيات وعاش في المجتمع الإنجليزي ألا أنه. كما يذكر عاش معهم على السطح يحبهم ولا يكرههم، وكان دائما يتذكر قريته (ود حامد)وأكد الراوي على ايمانه بأن الأوربيين في الأساس يشابهون الافارقة وبعد مغادرة البريطانيين للسودان سيعيش السودانيون حياتهم بشكل طبيعي، وكأن شيئا لم يكن.

وبعد سنتين من وفاة(مصطفى)تحصل الراوي على وظيفة في وزارة المعارف(التعليم) في الخرطوم ولكنه ظل مشغول البال بمصطفى للسنين الخمسة وعشرين اللاحقة، وفي أحد

الأيام كان الراوي راكبا القطار متوجها لاحد المدن، فالتقى بمأمور متقاعد كان قد درس مع العديد من رجال الدولة المعروفين وأثناء حديثه عن ذكريات المدرسة، ذكر المأمور أن مصطفى كان أحد المهمين الذي درس معهم حيث كان الطالب الانجب وكان يعرف بإبن الإنجليز المدلل، وكان المأمور وباقي أقرانه في الصف غيورين جدا من موهبته في اللغة الإنجليزية، وبعد لقاء الراوي للمأمور بأقل من شهر حضر الراوي حفلة مع رجال الحكومة، و أثناء إحدى النقاشات عن الزواج المختلط بين السودانيين والنساء الإنجليزيات ذكر أحد الحاضرين الشبان(مصطفى سعيد) وتحدث عن أحداث مختلفة تماما عن حياته قائلا أنه حصل على الجنسية البريطانية وكان أحد أبرز مناصري الإمبريالية البريطانية وربما وكيل سري في منطقة الشرق الأوسط وأنه عمل كسكرتير في البحرية البريطانية عام 1936 وهو الآن مليونير يعيش مثل اللوردات في الريف البريطاني .

رد الراوي بهدوء بإعطائه قائمة جرد بتركة مصطفى المتواضعة (بعد موته لا تعد كونها إبلا وحيوانات)أما المحاضر فقد اندهش من رد الراوي وسأله إذ كان يعرفه، بعد ذلك صحح ما قال عن مصطفى وهو يضحك : إنني نسيت أنكم معشر الشعراء لكم سرحان وشطفات ونعلم من خلال سطور هذا الفصل بأن الراوي أصبح وصيا على ابني مصطفى. ثم تدخل شخص آخر في الحوار يدعى(ريتشارد) قائلا بأن(مصطفى)كان خبيرا اقتصاديا مشكوكا بأمره وأنه كان معروف لدى الجناح اليساري للبويهميين، وأنه لو تجنب اليساريين وواصل العمل الأكاديمي لقام بعمل عظيم لبلده السودان الذي ال زالت تحكمه الخرافات، أما الراوي فيقول في نفسه بأن خرافات السودانيين واحصائيات هذا الرجل الإنجليزي ماهي إلا فروع مختلفة عن عقيدة واحدة وأن الاستعمار البريطاني كان مشهد ميلو درامي سيتحول مع مرور الزمن إلى خرافة عظمى، وبعد أيام عاد الراوي إلى قريته واذا به يسمع حسنة خبرا أحزنه وآلمه وهو موت حبيبته بنت محمود" على يد "ود الريس" الذي تزوجها وهو الآخر قتل على يدها، وهذه الحادثة وقعت ألنها لم تحبه ولم ترغب بالزواج منه ولكن والدها أجبرها،

فحدث ما حدث. وفزع أهل القرية والأصدقاء وقاموا بدفنها دون إخبار أحد. ولام الراوي نفسه لأنه لم يتزوجها هو بالرغم من حبه لها. وفي أحد الأيام وهو يقرأ مذكراته، قال أنه سئم منها. وأنها أعمال لا المعنى لها. ثم رماها وخرج من بيته ثم تكلم عن السباحة نحو الشاطئ الشمالي وعز مه على بلوغه، وتلفته »يمنة وسيرة« فإذا هو »منتصف الطريق بين الشمال والجنوب« ال لا يستطيع العودة. ولكن صمم بأن يقاوم ليعيش حيث يقول "سأحي الان ثمة أناس قليلين أحب أن أبقى معهم أطول وقت ممكن ولأن علي واجبات يجب أن أؤديها« وهكذا تنتهي أحداث الرواية بعد أن قرر الر اوي أن يكافح ليعيش مع أحبته ووطنه الذي يحتاجه. عكس مصطفى الذي أراد الموت ولم يقدم شيئا لوطنه وأهله لأن مشاعره تحمل روح الانتقام من الغرب فهو بذلك إنسان خالي من الحب والعطاء.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

مقدمة أ

الفصل الاول: الشرق والغرب وتاريخ العلاقة بينهما

تمهيد 5

أولا: مفهوم الشرق والغرب 7

ثانيا: طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب 9

ثالثا: المثاقفة بين الشرق والغرب 11

رابعا: تجليات الشرق والغرب في المنجز الروائي الحديث والمعاصر 15

الفصل الثاني: تمظهرات الشرق والغرب في رواية موسم الهجرة الى الشمال

أولا: المرأة الغربية 19

ثانيا: المرأة الشرقية 27

ثالثا: مصطفى سعيد بين الغرب والشرق 30

رابعا: ذكورة الشرق وأنوثة الغرب في مخيال رواية موسم الهجرة الى الشمال 35

الخاتمة 41

قائمة المصادر والمراجع 43

الملاحق 46

فهرس المحتويات

ملخص:

تناولنا في بحثنا هذا جدل الشرق والغرب في رواية موسم الهجرة الى الشمال للروائي السوداني طيب صالح حيث عبر في روايته عن الصراع الحضاري بين الشرق والغرب من خلال الشخصية التي اصطنعها لبطله مصطفى سعيد المشبعة بالحقد والكراهية ورغبته الانتقامية من خلال علاقته بالنساء الأوروبيات.

وقد اعتبرت هذه الرواية من أهم الروايات العربية التي تطرقت إلى هذا الموضوع حيث جسدته بطريقة وأسلوب يختلف كل الاختلاف عن الروايات الاخرى.

الكلمات المفتاحية: الشرق والغرب، المثاقفة، موسم الهجرة إلى الشمال.

Résumé:

Dans notre recherche sur la polémique orient-occident dans le roman: la saison de l'immigration vers le nord du romancier soudanais: Tayeb saleh, il a exprimé dans son roman le conflit civilisationnel entre l'orient et l'occident à travers la personnalité qu'il a créé de cet acteur Mustapha Saïd qui est saturée de rancune, et de haine et l'intenterons de se venger à travers avec sa relation des femmes européennes.

Ce roman a été considéré comme un des important romans arabes qui a touché ce sujet qu'il a traité d'une manière audacieuse، distinctive, et qui se diffère toute la différence des autres romans.

Les mots clés: Est et Ouest. Acculturation. Saison de l’immigration vers le nord.

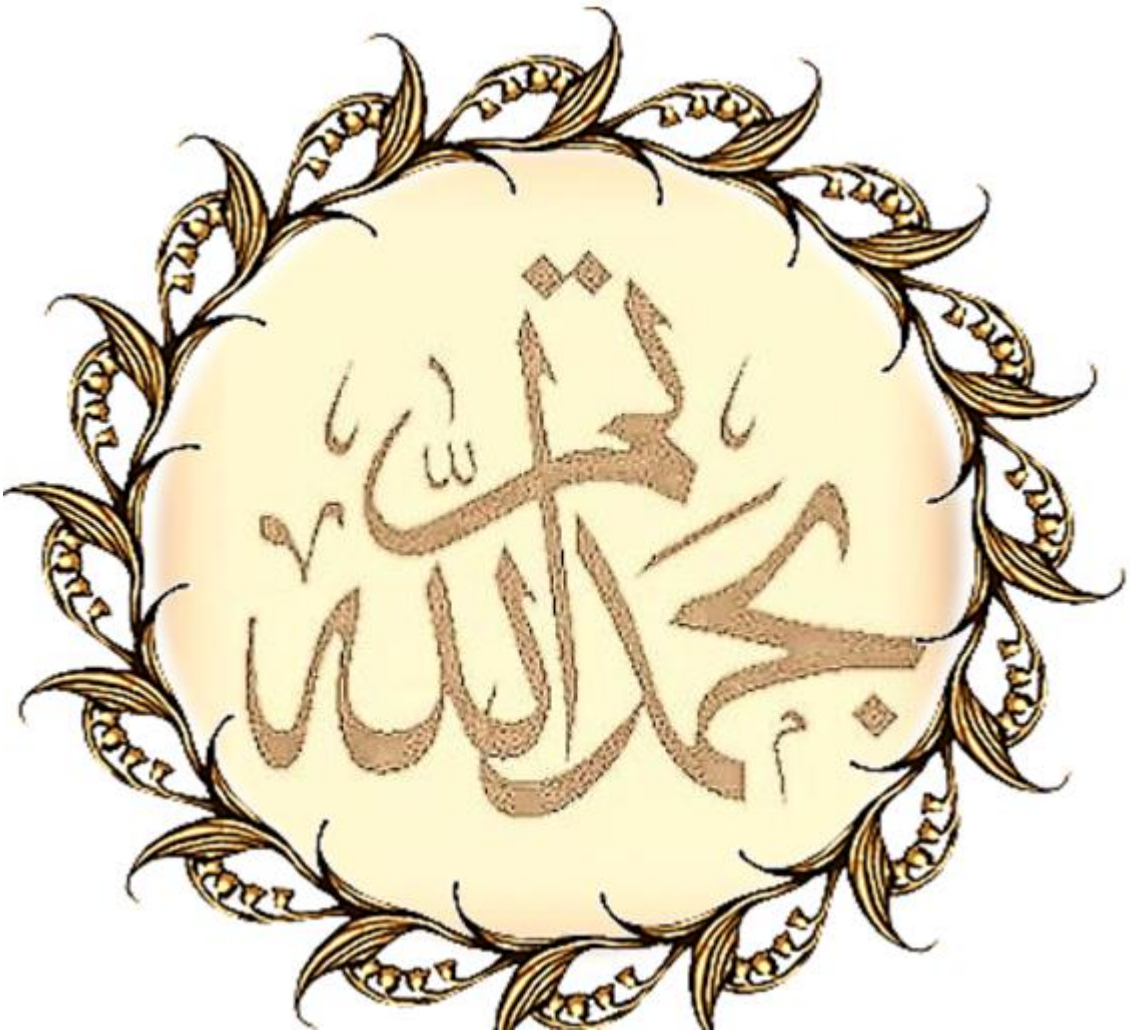
الحمد لله